

عشت سعيداً

من الدراجة إلى الطائرة

للكاتب

عبد الله السعدون

رئيسة لجنة تقنية المعلومات

أنتهاق الجميعة

نائبة لجنة تقنية المعلومات

رنتنا الصبري

رئيسة التصميم

الاء الدوخي

المؤسس التنفيذي

د. طلال المكي

نائبة المؤسس

و رئيسة المشروع

سهار التشرپف

نائبة المشروع

غادة جبر



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

تلخيص كتاب

عشت سعيدا من الدراجة الى الطائرة

للكاتب : عبدالله السعدون



الفهرس

الفهرس	(2)
المقدمة	(7)
صراع من أجل البقاء	(8)
سارة	(9)
لا يأس مع الحياة	(10)
أهداف وإنجازات	(11)
المعركة	(13)
دروس	(14)
في ربوع المدرسة	(16)
خطوات	(19)
يا رب أعطني دراجة	(21)
في مدرسة الحياة	(22)
بداية التغيير	(25)



- (26)..... عودة إلى القرية.
- (27)..... في ربوع اليمامة الثانوية.
- (30)..... محاولات لم يكتب لها النجاح.
- (31)..... من الدراجة إلى الطائرة.
- (32)..... في الولايات المتحدة.
- (35)..... العودة إلى المملكة.
- (40)..... أخطاء بين السماء والأرض.
- (42)..... أهم خطوة في الحياة.
- (43)..... في ربوع الولايات المتحدة.
- (47)..... عودة إلى الأهل.
- (48)..... من يستثمر القروض.
- (50)..... نداء في الظلام.
- (52)..... لابد من صنعاء.
- (54)..... الموجة الأولى.
- (55)..... الاستثمار في العقول.
- (56)..... القيادة.



- (58).....هل تظن بيتنا فندقاً.....
- (59).....ليسوا ملائكة.....
- (60).....طلائع الصحوه.....
- (61).....الاتجاه شمالاً.....
- (65).....عودة إلى مقاعد الدراسة.....
- (67).....بين أمي وأخيها.....
- (69).....عودة إلى الشمال.....
- (71).....ضريبة الإهمال.....
- (73).....مأساة أمة.....
- (77).....لماذا قبلت صغيرتي ؟.....
- (79).....عودة إلى الطبيعة.....
- (81).....مفارقات.....
- (83).....القيادة مرة أخرى.....
- (86).....كلتاهاما تحبو.....
- (88).....من يعلمهم السلوك الحضاري.....
- (90).....وقفز الطائر من عشه.....
- (92).....المريخ والزهرة.....



- (93).....شهادة قائد
- (94).....سر تفوق اليابان
- (95).....دروس من الميدان
- (97).....إجازة مدفوعة الثمن
- (99).....محطة جديدة
- (101).....في أحضان الطبيعة
- (103).....عبادات
- (105).....محاضرة عن الارهاب
- (107).....عودة للبداية
- (109).....الزيارة الأولى
- (111).....التغيير والتطوير
- (113).....ثقافة الوحدة
- (115).....الأهداف وأهميتها
- (116).....الذكاء العاطفي
- (118).....التفكير المرن وأهمية الحوار
- (119).....الثروة المهملة
- (124).....البيئة



- (125).....زيارة ثانية إلى بريطانيا
- (128).....قبل المغيب
- (132).....تكريم خاص
- (133).....يوم مختلف



المقدمة

الحاضر والمستقبل أن تعرف شيئاً عن الماضي القريب لبلادها بحلاوته ومرارته بقصص النجاح مهما كانت متواضعة ،
وبقصص الإخفاق مهما كانت مؤلمة.

لهذا الوطن الصغير والكبير علينا حق أن نعلمه ، يقول مثل صيني لتعلم الأرض عليك القيام بثلاثة أمور: أن تزرع شجرة، وأن
تكوّن أسرة، وأن تكتب كتاباً، ومن السهولة أن تكوّن أسرة، وأن تزرع شجرة، ولكن من الصعب أن تكتب كتاباً الكتاب الجيد
بحاجة إلى جهد مضاعف وبحث واستقصاء، وقبل هذا كله تحديد ماذا يراد من الكتاب ؟ .

و أنا أوّمن بأن النجاح مثل قمة الجبل في أحيان كثيرة يحجبها الضباب واضحة لمن يثابر ويطيل النظر ويرفع بصره عالياً
ويكون الصعود إليها ضمن أهدافه فطريق النجاح بحاجة إلى مؤن من الحب والمعرفة ومن يريد النجاح عليه أن ينظر أبعد من
موطئ قدميه وعليه برسم الأهداف والإصرار والإتقان وعدم اليأس و ألا يستمع لكلام المثبطين .

ما كتب في هذا الكتاب ليس سيرة ذاتية و إنما هو بعض أصداء الذات الخاصة مع دروس وتجارب تتجاوز الذات إلى الإنسانية
أينما وجدت .



صراع من أجل البقاء

من بين مجموعة من الأطفال يسبحون في بئر أقبلت أمي وانتزعتني من يدي ، كانت لا تريدني أن أصبح في البئر كي لا يكون سبباً في موتي كما حدث مع أبي ، عشت يتيما والولد الوحيد لوالدتي.

يقول أحد كبار السن : كانت الحياة قاسية والجوع مقيم في كل بيت والمرض يمهل الأطفال حتى يزداد عددهم ليزورهم دفعة واحدة ، كان يزورهم الوباء كما تزورهم الرياح والأمطار. في ذلك العام الذي سمي (عام الرحمة) ولم يكن له نصيب من اسمه ولعله يكون رحمة لمن ماتوا.

يقول الشيخ المعمر: كان الموت في تلك الأيام حاضرا في كل بيت ، مجاورا كل إنسان ، لم يترك شجرة إلا هزها ولا ورقة إلا أسقطها ، أطفالاً المصابيح ونشر الظلام في كل مكان.

لم أعرف الكثير عن موت أبي فالأم بخيلة بالمعلومات التي تتعلق عن الماضي علمت من اعز أصدقاء والدي أن خلف موت والدي مشروعا زراعيا لم يكتب له النجاح تبخر المشروع مع سقوط والدي في البئر ظل والدي على قيد الحياة أربع سنوات بعد سقوطه في البئر كانت حصيلتها ميلاد طفل وهو أنا.

يقول العم أبو إبراهيم: بعد سقوطه في البئر أنا الذي أساعده أرسل ولدي إبراهيم الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره ليساعده في المزرعة.

أضاف أبو إبراهيم إلى كلامه أن والدي كان متدينا باعتدال وكانوا يعرفون ذلك مما يحمله من حب وتسامح ، كانت لا تفارق الابتسامة محياه.





سارة

وكان هنالك مصدر آخر من مصادر الحماسة وإلهاب المشاعر إنها المرأة ، كانت سارة ملهمة لبنات جنسها وحكيمة لم أعرفها إلا عجوزا رسم الزمان لوحاته وخربشاته على وجهها الجميل ولكن الجميل يظل جميلا رغم السنين ، انتقلت العمة سارة في فصل الصيف لتعيش مع أخيها في المزرعة.

كنت الأقرب إلى العمة سارة تعطف علي بشكل خاص بسبب اليتيم .





لا يأس مع الحياة

المؤكد أن العمة سارة تزوجت سبع مرات وكانت تريد أن تكمل العشرة لولا تقدمها في السن ، ومع ذكريات العمة سارة تذكرت القول المشهور (لا يستطيع أحد الركوب على ظهره إلا إذا كنت منحنيا).

التعامل مع الظالم بحاجة إلى المواجهة ورفع الظلم سريعا وإلا تحاذى في ظلمه فالظالم جبان يستغل ضعف الضحية لكي يتعود الناس على المشي بقامات مستقيمة هم بحاجة إلى ثقافة مختلفة وإلى أكثر من جيل وأكثر من مصلح وأكثر من مثال يحتذى، فقد حكى العمة سارة تجاربها مع الزواج ومع كل زوج تزوجته ، منه من عانت معه ومنهم من ظلمها والآخر هيا من خطبته وذهبت معه إلى الحج فكانت تستمتع بكل يوم تكون معه فهي كانت لأول مرة ترتوي من الحب وتستمتع بالجمال، وبعد الحج انتقلت العمة سارة إلى بيت والدها في البلدة بعيداً لتكون بعيدة عن أهلها وأهله ، أما الزوج الخامس فكان كبير الجسم قوي البنية ولكن رائحته كريهة لم تستمر معه وطلقها والزوج السادس كان مشهور بتدينه ولكنه كان يعاني من مرض الكبد نتيجة لمرض البلهارسيا وكان الزوج السابع من أسرة طيبة ولكنها سريعة الغضب تذكرت وأنا أدون ذكريات العمة (إن أعظم ما في الحياة ليس عدم السقوط بتاتا بل الوقوف بعد كل سقوط).

ورزقت العمة سارة بأطفال لكن لم يعيشوا طويلا لم تكن العمة سارة صغيرة في سنها لقد تجاوزت الستين لكنها كانت بصحة شابة في الأربعين كانوا يعززون قوتها لكثرة أكلها التمر واللبن ، كانت تتمتع مع كبر سنها بقوام رشيق تحسدها عليه النساء ، مع أن العمة سارة صاحبة مزاج متقلب كمناخ الصحراء في آخر فصل الربيع إلا أنها كانت مثالا يحتذى في الحزم واتخاذ القرار. أصبح الراديو وسيلة اتصالنا بالعالم أيقظ ذلك المارد الصغير كثيرا من الخلايا النائمة في رؤوسهم وأصبح مالكه مصدرا موثوقا للأخبار، كان الكثير من سكان القرية وخاصة النساء والأطفال يعتقدون أن العالم هو قريتهم وما يحيط بها من جبال ورمال.

كان التدخين من الأمور النادرة وكان أكثر المدخنين من الذين سافروا خارج القرية ، كنت أستمع كثيرا بأحاديث قريبتى الكبيرة التي تحدثني دائما عن والدي وتثني على والدي وصفاته وكانت تقول لي دائما أنت تشبهه وأذكره كلما رأيتك .



أهداف وإنجازات

أمام هذه الضغوط عازمت أمي على ثلاث أمور الأول: أن تتزوج والثاني أن تزوج ابنتها وتعلم ابنها والثالث أن تبني بيتا. تزوجت الوالدة رغم عدم رضا عمتها سارة ورزقت بأخت تأقلمت مع بيتي وأهلي الجدد. كنت أسبب للجميع الازعاج وعلى الجميع أن ينفذوا طلباتي كنت كثير الشجار مع أختي التي تكبرني بأربع سنوات. اليتم جعلني محط أنظار الجميع.

كنت أخاف من أي شيء حتى إذا ظهرت أمامي سحلية. ذكروا لأمي كبد الذئب وأن من يأكلها لا يخاف أبدا. ذهبت أمي الى زوجة فلاح مشهور بصيد الذئاب وألحت عليها أن تعطيها كبد أول ذئب يصطاده زوجها وبعد شهر طلبت زوجة الفلاح أن تأتي أمي وأنا معها. أكلت الكبد ولكنها لم تكن إلا كبد خروف اشتراه الفلاح من الجزار ليسلم من كثرة الإلحاح. ذلك أن الذئاب نادرة الوجود.

انطلقت لا أخاف من شيء لأنني أكلت كبد الذئب فلا خوف بعد اليوم أخبرت جميع أصدقائي. أخذت أطارد الكلاب فتهرب مني لأنها تشتم رائحة ذئب. والجن لن تقربني فهي تخاف من الذئاب أيضا. أصبحت مشهورا بين أقراني. لقد حررتني كبد الذئب من أوهام كثيرة.

تخلصت من خوفي لكن بقيت شقاوتي التي دائما ما كانت تخرج أمي. في أحد الأيام وبينما كنت ألعب مع صديقتي بنت الجيران وجدنا جسما مربعا. في البداية ظنناه صابونه. ركضنا فرحين بما رأيناه وحاولنا تجربتها في الماء ولكنها لم تنتج رغوة بل ازدادت لمعانا. ولكن اشتد فرحنا عندما اتضح لنا أن تلك القطعة هي حلاوة يغطيها التراب . تذوقها أولا وقررت أن أمررها على الجميع وإبتات بصديقتي الغالية بينما أختي كانت تنتظر دورها . لكن المفاجأة كانت عندما ابتلعتهما ثم هربت لمنزلها . ركضت وراءها وأنا أصبح أخرجي الحلاوة يا طماعة ودخلت معها إلى بيتها ودخلت في شجار مع أمها وأختها التي تكبرها ولكن خرجت من المعركة مقهورا مهزوما .فها هي الحلاوة التي كان من المفترض أن يتذوقها أكثر من شخص تستقر في بطن أحدهم .ملأت شق ثوبي بالحجارة وانتظرت خروج أحدهم حتى أنتقم لنفسي رجع صاحب البيت ووجد أهله لا يستطيعون الخروج من البيت



كان حليما لم يأخذ كلام أهله على علاته دون أن يستمع للطرف الآخر . كان
يخاف الله وأقترب مني وسألني عن المعركة أخبرته بالقصة مسح على رأسي
وترجاني أن ألقى الحجارة جانبا ووعدني بكيس من الحلوى عندما يذهب للسوق





المعركة

في يوم من أيام الصيف الكئيبة الحارة كان الضيوف يملئون المنزل والأم تركض هنا وهناك في محاولة ترتيب الغداء الذي لأجله ذبحوا خروفي المفضل الذي طالما أطعمته العشب بيدي . توقفت الكلمات وأنا أراهم يذبحون "عيد" أمام عيني وقد أخرج لسانه . كنت طوال اليوم بمزاج متقلب حزين على صديقي .

على غير عادتي لم أسلم على الضيوف رغم معرفتي بهم . تنحيت جانبا أصنع بيوتا من طين وأهدمها مستخدما علبا فارغة . دخلت البيت بالملابس التي لوثها الطين وألعب بالعلب الفارغة مصدرا أصوات مزعجة . قالت لي أمي بأن أبقى صامتا وأبدل ملابسي . لم أعرها اهتماما وأكملت لعبي . فما كان من الأم ألا أن أخذت اللعبة وضربت بها رأسي فسال الدم منه . فخرجت من المنزل وبدأت أجمع الحجار في جيبي رغبة في الانتقام . وما لبثت إلا أن رأيت ثعبان كبير يخرج من فتحة الجدار متجها نحو رميته بالحجار وناديت بأعلى صوتي "ثعبان" التف الجميع حولي وقتلوا الثعبان ومن ضمنهم أمي التي احتضنتني واستسلمت لصدرها الدافئ وقالت لي لقد أرسل الله إليك الثعبان لأنك أغضبت والدتك وتريد رميها بالحجارة. نسيت كل غضبي وأدخلت أمي للمنزل لآكل حيث أنني لم أذق شيئا منذ الصباح كانت علامات الفرح بادية على أمي فقالت "بارك الله في الثعابين ورحم موتاهم"





دروس

لقد علمتني أمي درسا عندما ركضت إليها صارخا "وجدت نقودا في الشارع" كانت ريالين عربيين من فضه وجدتھا في كيس مخبأ تحت حصير داخل البيت تأكدت أنني غير صادق فاتجهت إلي ممسكة بأذني الصغيرة وسألتني من أين أتيت بهذه النقود. لكي يكون درسا عمليا عن الصدق والأمانة لكنني لم أخيب ظنھا وقد استوعبت الدرس جيدا فيما بعد .

بعد أقل من شهر دخلت علي أمي وفي يدي حزمة من الريالات وجدتھا في الشارع لأركض بها في سباق ماراثوني لا أترك الشعلة إلا في مكانھا المناسب. ويفرح كل من في البيت ويعدونها وإذ هي ثلاثون ورقة من فئة العشرات ويكون المجموع ثلاثمئة ريال وهي تعادل في وقتنا الحاضر ثلاثمئة ألف ريال. وينادي المنادي بحثا عن النقود معلنا جائزة لمن يجدها. يجتمع كبار القوم في بيت عمي. وأدخل عليهم بجسمي الصغير فأسمع علامات الإطراء ويعطيني المالك خمسة عشر ريالا وثوبا جديدا تخطيطه لي أخته وهي واحدة من القلائل التي تحتل ماكينة خياطه في ذلك الوقت.

جاء الشتاء شديد البرودة كثير الأمطار لأول مره أرى الماء المتجمد في بدايه الصباح. استهانت والدتي بالشتاء فعاقبھا. مرضت أمي مرضا شديدا حتى أنها طلبت أن يجهز القبر لها. ولكن الحمد لله شفيت والدتي من مرضھا ولكن لقد ترك فيها المرض عاهة وهي فقدان جزء كبير من السمع إنها الحمى الشوكية لا بد أن تترك بصمتھا. المرض قربني من أمي وعلمت مقدار الفراغ التي تتركه الأم خلال مرضھا أحسست بالوحدة لا أحد يسأل ماذا أكلت وماذا شربت.

لم يدم الأمر طويلا حتى مرضت عدت من اللعب أشكوا الإرهاق والتعب لأسقط مريضا وتلح الأم علي من رآك تلعب؟ أتذكر ثم أقول فلان. على أي حال كان رجلا تحوم حوله الشكوك ولم يرزق سوى البنات وكان يعرف بقوه عينه وإتقان وصفه. ذهبت أمي لمقابله زوجة الرجل

تعرفين أن العين حق وأنا أتيت لطلب العون

سأعمل ما أستطيع فأوضحني يا أم عبد الله

عبد الله ولدي وسندي وهو مريض وليس به إلا العين وأنا أخاف أن يصيبه مكروه



من تعتقدين صاحب العين؟

لم يره قبل مرضه إلا زوجك

ولكن زوجي دائما يذكر الله

ربما نسي هذه المرة أريد المساعدة

وجدت السيدة طاقية تراكت عليها الأوساخ ووجدت في طياتها الغبار والعرق

أخذتها الأم وهي في قمة سعادتها شرعت في غسلها حتى استحل صفاء الماء إلى لون داكن يميل إلى السواد وليكون الطعم مقبولا أضافت له السكر وأحضرتة لأشربه. ومن عاداتها كان تحضر لي ماء أذيب به الاقط مع السكر بعد أن تعطيه للشيخ الفاضل ليقرا عليه ما تيسر من القرآن. كنت أحبه خاصة طعم السكر. هذه المرة لم استسغه. فلا الطعم طعمه ولا اللون لونه ولا الرائحة رائحته. بعد أن شربته. تعافيت بعدها بيوم وظلت تذكرني بالقصة كلما حاولت نسيانها أو التقليل من شأن العين. لا أدري هل عادت الطاقية لصاحبها نظيفة أم تركت لمناسبات قادمة.

وما هو إلا عام وأصاب بالحصبة وتركض أمي وأختي للبحث عما أتقوى به ولم يكن هنالك إلا ما تنتجه المزرعة. استمر المرض أسبوعين بدلا من أسبوع . لأنني سمعت أنهم يدخلون الإبرة المؤلمة في المؤخرة . كل شيء إلا إبرة المؤخرة . اشتد المرض وخيرتني أمي بين الكي والطبيب اخترت الكي . أخبروني إنه غير مؤلم تماما . أخذوا يحدثونني حتى أنشغل عن النار التي تدفن تحتها قضيب حديدي . طلبت منهم المرأة أن يمسونني جيدا وماهي إلا لحظات وأصرخ وتنتشر في الأجواء رائحة الشواء . استعدت صحتي يوما بعد يوم وبقيت آثار الكي علامة بارزه علي.





في ربوع المدرسة

لم أكن أكملت السنة الخامسة من عمري إذ تطلب من أمي الذهاب إلى المدرسة لم يكن ذلك لطلب العلم بل لترتاح مني ومن شقاوتي . تعاقبني بإخراجي من البيت وغلق الباب علي وأعود إلى سلاحي المفضل الحجارة .

كان أمي على صلة قرابة بالمدير الذي قبلني مع انتصاف العام الدراسي وصغر سني أدخلوني إلى الفصل الدراسي وجلست في آخره وكان يوجد في المقدمة المعلم الذي كان يطلب منا أن نردد ما يقول .

انتهى العام الدراسي كحلم نائم يستغرق في نومه. أحضر يوما وأغيب أياما ولا أذكر أنني تعلمت شيئا حتى اسمي لم يكن مدرجا ضمن قائمة الطلاب .

بدأ العام الجديد وانتظمت منذ أول يوم دراسي انتقلت العائلة إلى المزرعة فأصبحت المدرسة تبعد ثلاث كيلو مترات . كان المشي هي الطريقة الأمثل لظروف مثل ظروفي . أما الميسرون فيستخدمون الحمير أو الدرجات الهوائية لكن بدا ذلك للطلبة الأكبر سنا .

كم مره غبطت زميلي حين أراه يركب حمارا مع أبيه وعلى الأخص في ذلك اليوم الذي تلبدت سماؤه بالغيوم ولقد جاوزني مؤشرا بيده الصغيرة وعلامات الفرحة بادية عليه وبعد أن هطل المطر رأيت والد زميلي يوقف الحمار ويحتمي هو وولده تحته حتى خف المطر. حب مفرط يسكن قلب ذلك الأب فإلى أي قلب يلجأ من غاب أبوه . ركضت إلى شجرة تعرفني وأعرفها احتميت بها أحاطتني بأغصانها قبلتني على خدي المتيبس بقطرات من دموعها المالحة.

وفي يوم شديد البرودة أذهب إلى المدرسة حافي القدمين والصقيع يغطي الأرض والرياح الشمالية تهزني بقوة كبقية الشجيرات المتناثرة وفي منتصف الطريق توقفت تماما عن المشي تيبست قدمي استندت على الحائط أحتمي به من الريح مددت قدمي



الصغيرتين العاجزة عن الحركة يأتي الفرج من السماء ملاك على هيئة فلاح أو فلاح على هيئة ملاك يتعرف علي ينحني ثم يحملني على كتفيه ويدلك قدمي المجمدتين يقترح علي أن نقف عند أحد الأقارب حتى أتدفأ وأكل شيء . لكن صرامة المعلم وخوف العقاب جعلاني أرفض العرض . أوصلني حتى باب المدرسة . في المساء أرسل ذلك الرجل الطيب زوجته لوالدتي لتعاتبها على إرسال ابنها الوحيد إلى المدرسة بقدمين حافيتين . أحست الأم بوخز الضمير وفي صباح اليوم التالي ودعتني وتأكدت أنني ارتدي حذاء .

انتهى العام الدراسي وزفت إلى أمي بشرى نجاحي فتهلل وجهها ومسحت على رأسي وتمنت أن أصبح معلما مثل معلمي . لم تنسى الأم هدفها الثالث وهو بناء منزل يكون لها ولأبنائها تلجأ له عند الحاجة كما كان لعمتها سارة المثل الأعلى لكن كيف السبيل لبناء هذا البيت؟ كانت أمنيتها أن تبنيه وسط البلد لكن لا سبيل لذلك لآبأس ببناءه قريب من المزارع .

بدأت دراستي في السنة الثانية وقررت أن أسكن في منزل عمي الذي رجع قريبا من الكويت والذي يكون منزله بقرب المدرسة . أشترى كل يوم في الصباح الباكر الخبز وتقوم زوجة عمي بتحضير الحليب الساخن الذي سوف يغمس في الخبز .

من بين تلك الشوارع الضيقة وصلت إلى المدرسة في ذلك الصباح أعراض المرض بادية علي أشعر بالغثيان وأشعر بالنعاس . يشرح المدرس الدرس فيراني أعط في سبات عميق يناديني فلا أجيب يتطاير الشرر في عينيه . يلكنني زميلي الجالس جنبي وعندما رفعت رأسي رأيت المدرس واقفا أمامي يطلب مني الوقوف وإعادة ما قاله فلا أجيب يزداد غضبا ويطلب مني أن أقف أمام السبورة . أمشي إلى السبورة وجسمي ينتفض من الخوف وينهال المدرس ضربا بالعصا على رأسي وظهري أحاول الهرب كما طلب المدرس فلا أستطيع أشعر بالرطوبة تنزل إلى الفخذين و الساقين . أسقط على الأرض ولا أستيقظ إلا في منزل عمي بقيت ثلاث أيام على الفراش

رفضت بعدها العودة إلى المدرسة قلت لهم "لا أريد الذهاب إلى مدرسة يضرب فيها اليتيم المريض مثلي ولا يضربون الآخرين لان لديهم آباء حتى لو كانوا مشاغبين سوف أرعى الغنم وأعمل في المزرعة مثل أبناء الجار ولن أحتاج المدرسة بعد اليوم " في الصباح ذهبت إلى حظيرة الغنم وأخرجتها وذهبت بها إلى الجبل . في المساء ذهبت أمي إلى منزل المدير وأخبرته بما حصل لابنها فوعدها أن يتحدث مع المعلم ولا يتكرر هذا الخطأ . ووعد بإرسال مندوب ليأخذني إلى المدرسة.

وفي الصباح كان جاء مندوب المدرسة أرسله المدير وأكد ألا يأتي إلا وأنا معه بادرني بالسؤال

يا ترى هل تعتقد أن اليوم هو الجمعة فلذلك لم تأتي إلى المدرسة ؟

أعرف أن اليوم هو الأحد ولكن أنا لم أعد أريد الذهاب إلى المدرسة بل أريد مساعدة أهلي في المزرعة

لا نريد منك أي مساعدة إن كنت تريد إسعادي اذهب إلى المدرسة

ستذهب معي ولن يضربك أحد بعد اليوم إلا إذا أخطأت وأهملت دروسك



لكنني أكره من يضرب حتى الغنم التي أرهاها لا أضربها عندما ترى الغنم تهرب مني وتكرهني فكيف بالبشر.

أعدك أن ذلك المدرس لن يضربك بعد اليوم لكن عليك أن تجتهد هو حريص عليك ويريد مصلحتك . سرنا معا أنا والمندوب ممسكا بيدي خشيه أن أهرب ظل

المندوب طوال الطريق يسدي إلي النصائح "إذا أردت الرفعة فعليك بالعلم إياك أن تتركه العلم هو أساس كل تقدم وما عداه وسائل مساعده من تعب في طلب العلم في صغره ارتاح في كبره"

ذهبنا إلى غرفة المدير مباشرة سلمت على المدير لأول مرة أشار علي بالجلوس وطلب من المرافق أن ينادي المدرس بعد انتهاء الحصة

قال المدير هذا هو عبدالله لا يريد أن يحضر المدرسة بسبب أنك ضربته

لا أذكر متى ضربته لكن إن كنت ضربته فهذا لمصلحته لأجل هذا دعوتهموني ؟

هو يريد أن يترك المدرسة لأنك ضربته

لولا حبي لك لما ضربتك ولتركتك ترسب نهاية الفصل الدراسي

لكنك ضربتي لأنني يتيم

طلب مني المدير أن أذهب إلى المعلم وأسلم عليه أخذ بيدي الصغيرتين وقبل جبيني وقال لي لن أضربك بعد اليوم

انتهى العام الدراسي وأعلنت النتائج كنت من الناجحين أخذت الشهادة إلى خالي الكبير الذي يعتقد أن الدراسة مضيعه للوقت وقد يكون الهدف منها غير معلن طلب مني أن أنهي الدراسة عند السنة السادسة الابتدائية .





خطوات

بعد عام اشتكت فيه التربة من الجفاف نزل المطر متأخرا وتراكم الفلاحون لبذر القمح وحرث التربة وتجهيزها للزراعة لم يكن في القرية إلا آلة زراعية واحدة أمنتها وزارة الصحة تخدم جميع مزارعي البلدة هنالك منتظرين أسبوع على الأقل مما يعني تأخر موسم الزراعة .

الأرض المجاورة لنا أرضها خصبة وزادها السيل خصوبة لا يمكن التفريط في هذه الفرصة عزم زوج والدتي وأخوها أن يزرعا الأرض مشاركة .

بدأوا زراعة الأرض وبعدها جاء الزرع أحسن ما يكون أطول من المعتاد وأكثر من الخضرة ونبت العشب . كل يوم يزداد الزرع جمالا ونظاره أخذت الأم تحصد العشب النابت على أطراف الزرع ثم تنشره على الشمس ليجف ثم تخزنه.

في أحد الأيام سألت أمي من تحبين أكثر أنا أم خالي أجابت مداعبتني أحب خالك أكثر تمنيت حينها أنني لم أسأل ثم قالت لي أنت عيني وخالك عيني الأخرى أحبكما بنفس المقدار .

نظرت الأم إلى الزرع وأخوها منهمك في ريه ثم قالت كل حي بحاجة إلى الحب والماء وأشعة الشمس حتى ينمو ما أوجنا لمزيد من الحب والتعاون . وفي هذه الأثناء انطلقت البقرة من حظيرتها واتجهت نحو الزرع ركض الرجال خلفها يحاولون الإمساك بها فلم يستطيعوا من شدة قوتها فكر الزوج وقال عضلاتها لم تنفع فهل نستخدم عقولنا ؟ أشار الرجل إلى الجميع أن يتوقفوا لعل المرأة تمسك بها تضاحكوا وقالوا هذه بقرة مسها الجن فكيف لامرأة أن تمسك بها ؟ أقبلت المرأة ونادتها باسمها الذي تناديه به دائما وإذ بالبقرة تركض نحوها تأخذها إلى الحظيرة ضحك الزوج فقال مصيبتنا أننا دائما نحل كل مشكلة باستخدام القوة وبنفس الطريقة دائما

لم تنس الأم ما وصت به الأخ : البيت وتكاليفه



سيكون المبلغ في حدود ثمانمائة ريال الا ترى أن السعر مرتفع لا تنسى أنني سوف أعمل معكم . عندي بعض الماء وسوف أتدبر الباقي من المحسنين متى سوف نبدأ ؟ أريد أن أرى الحلم يتحقق؟

نستطيع أن نبدأ بعد حصاد الزرع وذروه

بدأ العام الدراسي الثالث وقد انتهى مبنى المدرسة الجديد من بناءه وجاءوا مدرسين جدد من بلد يقال انه الجمهورية العربية المتحدة يضم مصر وسوريا

أقضي بعض الوقت عند جبراني الطيبين يرحب بي الأب والأم والأولاد كيف لا وأنا صديق ولدهم الذي هو في مثل سني يسألوني عن المدرسة فأجيبهم أولاده لم يذهبوا إلى المدرسة لأن الأب لم يكن مهتما بها يسألونني عن الحساب لأعد لهم حتى الألف وأكثر أقرأ عليهم المطالع' وأنشد أمامهم أطلعهم على الكتب وأمور الدين

الدولة لم تكثف بتعليم الصبيان بل قررت تعليم البنات أيضا لكن كان هنالك بعض من المخالفين لهذا القرار لكن قالت الحكومة انهم غير ملزمين بإرسال بناتهم ولكن ليس لهم الأحقية في البنات الآخرين

ينتهي الزرع ويفصل يدويا بواسطة المناجل النساء في جهة والرجال في جهة أخرى انتهى الزرع وتفرغ الخال للوفاء بوعده بدأ البناء وصارت الأم تقف على العمل كل يوم تحضر الشاهي والقهوة ثم الغداء وزوجها يبارك .

احتاجت الأم للمال حتى تعطي العمال ذهبت إلى بعض الميسورين لعلها تجد حاجتها ذهبت إلى الأول والثاني والثالث لكنها لم تجد لكل منهم مانع . ولدها وابنتاها أيتام ولهما وكيل لا بد أن أهل الخير قد أعطوه من الصدقات والزكاة رفض الوكيل إعطاءها حتى يبلغوا الثامنة عشر إلا اذا كتبت البيت باسمهم ولكنها رفضت ذهبت وتذكرت شخص قد أسدت له معروف سابقا وقالت له أن يقرضها ثلاث مئة ريال قال لها إن هذا المبلغ لا يكفي بل تحتاج ست مئة ريال وقال لها إنه سوف يعطيها هذا المبلغ دفعة واحدة وسوف ترده لها مع راتب عبدالله استقبلت القبلة وبدأت تدعو له وتدعو لأهل بيته والدموع تتساقط من عينيها الله يبارك لك. من قال إن أهل الخير قد انتهوا من يزرع بذرة ويسقيها يلاقي الثمار اليافعة يوما ما . أخذت المبلغ وأعطته إلى أخيها .

أوشك البيت على الانتهاء وهم يضعون اللمسات الأخيرة بقيت البيرة لم تحفر وها هي تستأجر ابن الجار وتقوم بحفرها معه. الغرفة الثالثة تحتاج إلى تعديل حتى تصبح مطبخا في الوقت نفسه وترغب في فتح باب آخر جهة الشارع الثاني ولكن جارتها تعترض لأنه سوف يكشف على بيتها وتوكل كل منهما أخاها ويتقاضيان عند القاضي الذي يأمر بفتح الباب

لم أندم في صغري كندمي على معطف أعجبني طلبت من عمي أن يشتريه لي من صاحب المحل كان فروا من الداخل وجلدا من الخارج ولكن صاحب المحل وعمي اختلفا على السعر فعمي يريد به خمسة ريالات وصاحب المحل يريد به ستة ثم طلب مني صاحب المحل نزع المعطف فذهبت إلى أمي باكية وقلت لها إنني لن أذهب إلى المدرسة بدونه فأعطتني المبلغ كاملا فذهب إلى صاحب المحل ولكنه قال لي إنه تم بيعه فرجعت إلى أمي باكية . بحثت أمي عن معطف فلم تجد . فاشتريت معطفا من الجار فلبسته ولكنه كان يصل إلى الركبة فتندر الجميع . رميته ولا أزال أتذكر ذلك المعطف الجميل.



يارب أعطني دراجة

الابن منتظم في الدراسة والبيت انتهى وسكنوه كل عمل يبدأ صغير ثم يكبر وأصعب شيء هي البدايات. بقي زواج البنت التي تقدم أكثر من شخص لخطبتها والخال يميل إلى تزويجها من الذي يسكن في الرياض فهو رجل متعلم ومتدين ومن أسرة فاضلة تزوجت البنت وتركت فراغ كبير عند أمها وفراغ أكبر عندي أرجع إلى البيت فلا أجدها فأفقل الباب وأبكي لكن عزائي أنني ذهبت معها إلى الرياض مع أمي لتجهيز ما تحتاجه العروس في بيتها الجديد .

ذهبت مع عمي إلى السوق حتى نشترى للعروس الجديد وقفت أمام محل بيع الدراجات ينادونني فلا أجيب ويجرونني من يدي فأمتنع ولا أبرح المحل وكأن رجلي مغروسة في وحل قالت الأم أليس له حق من مهر أخته فأصرت الأخت على شراءه اشتريت الدراجة عدت وأمي إلى بلدي الغاط لقد أصبحت دراجتي حديث زملائي الذين ألحوا على أهاليهم لشراء دراجة تشبهها كفتتي الدراجة مشقة الذهاب إلى المدرسة بل إنني كنت أصطحب ابن عمي معي . أصبحت الدراجة تأخذني إلى أماكن عديدة مثل (القلته) إنه ذلك المكان الجميل الذي في أعلى الوادي الماء ينبع من بين الصخور .





في مدرسة الحياة

أصبحت أجيد القراءة والكتابة، وبدأت أكسب من كتابة الرسائل، أكسب أحياناً بضعة قروش وأحياناً حلوى وأحياناً أكسب الدعاء، عند عودة أحد رجال القرية من الرياض أحضر معه قصيدة نبطية ضد جمال عبد الناصر كلماتها ركيكة ومعانيها تدل على جهل قائلها، نقلها من جريدة محلية، صرت أنسخ القصيدة لمن يطلبها بمبلغ نصف ريال، بصرف النظر عن معانيها، هي المادة تغري وتفسد الأذواق. بعد صلاة المغرب أذهب عند خالي وأعمامي الذين يجمعهم بيت واحد أقرأ على الأسرة مجتمعة أشعاراً نبطية، مجموعة في كتاب يحتفظ به الخال، أبدأ بما يطلبه الخال ثم الخالة، بعدها تبدأ المشاورات وعادة لا بد من المرور كل ليلة على شعر حميدان. يضحك الخال كثيراً عندما أقرأ شعره في وصف بعض البلدان، وما قاله في ابنه، لا بد من المرور على توبة العونية المشهورة وهو في سجنه، فترى دموع النساء تبلى الخدود خاصة عندما يصف السجن وأقفاله وكيف أنه مظلّم لا يعرف ليله من نهاره، وفي وصف القهوة، وقصيدة الهزاني الغزلية وفيها وصف لمغامرته مع النساء، ومع هذه القصيدة يرسم الخجل وروداً حمراً على خدود البنات، يستمر المجلس حتى أذان العشاء، وتؤثر هذه الجلسات وهذا التكرار في علاقتي مع الشعر وحيي له. ويحز في نفسي أن أرى أختي الصغيرة (الوحيدة التي ولدت لأمي من زوجها الثاني) لا تقرأ ولا تكتب، فأقرر تعليمها القراءة والكتابة وأعطيتها مناهج السنة الأولى ثم الثانية، ثم تبدأ تقرأ من نفس الدروس التي أدرس فيها، أبدأ بإحضار القصص لها، وتتقن القراءة في وقت قياسي لتنتقل فيما بعد إلى قراءة القرآن الكريم، وتبدأ في القراءة وفي وقت قياسي لتنتقل فيما بعد إلى قراءة القرآن الكريم، وتبدأ في القراءة للشعورين. قرأت العبقريات للعقاد، والأيام لطلح حسين، والعبارات والنظرات للمنفلوطي إضافة إلى كليلية ودمنة وألف ليلة وليلة. وربما قرأت هذه الصغيرة التي لم تدخل مدرسة أضعاف ما قرأه الشباب، الذين تخرجوا من الجامعة. أما أختي الكبيرة فلم تتح لها فرصة التعلم. حتى القرآن الكريم كانت تظنه للرجال فقط، هم الذين يحق لهم قراءته. كانت تسمع خالها يقرأ بصوت عال، لكنها لم تهتم بأن تقرأ هي لأنها لم تسمع من يقرأ القرآن الكريم من النساء. حفظت فيما بعد بعض السور الصغيرة من عمته، ودرست لاحقاً في مدارس (محو الأمية)، ولكن لم تكن دراستها نقشاً في الحجر، بل أثر أقدام على الرمال، أو رسوماً على الماء. حاول بعض الرجال أن يستمروا علاقتي المتميزة مع النساء، وخاصة الجميلات منهن ومن سתר زوجها أو مات، يوصيني أحدهم بأن أنقل رسالة إلى فلانة التي يحبها كثيراً ويتغزل بها دائماً، وهي لا تلقي له بالاً، فهي



واحدة من أشرف النساء، حفظت شرفها وسمعة زوجها حاضراً وغائباً، ويحاول معي دون يأس ثم يغريني بالمال، مفسد الضمائر ومقوض عروش الأمم. ما عليك إلا أنت تقول: فلان يسلم عليك، ثم تخبرني بماذا ترد. وأرفض العرض، بل وأغير رأيي في الرجل بعد ان كنت أظنه صاحب شهامة وعفة. لم يكن مجتمعاً مثاليا بل كسائر مجتمعات العالم يحمل الكثير من المتناقضات ، الطاقة الجنسية

ليس من السهولة إهمالها فتأثيرها على المجتمع كبير ، كانت هناك حكايات تتداول عن علاقات تربط رجال بنساء وهناك الشذوذ حتى إن بعضهم لا يتورع عن استخدام خلوة المسجد لاستخدام فعله المشين ، وهناك حكايات كثيرة علاقة بعض الشباب مع الحيوانات هي الطاقة الهائلة لأسباب لا بد من تصريفها بالمسائل المباحة وإلا صرفوها بطرقهم الخاصة ، من تجاوز الخمسين عاما ينسى ماضيه ويريد صاحب العشرين عاما أن يتصرف مثله لا يريد أن يتذكر كيف كان سلوكه في تلك السن هناك علاقة طردية بين الحرمان من الشيء والتعلق به كلما زاد الحرمان زاد التعلق تكبر العمة سارة وترفض أن تترك بيتها وتستمر أُمي في العناية بها ؟ أمر عليها كل يوم في الفسحة التي تمنحها المدرسة بعد الحصص الثلاث الأولى ويسمح فيها للطلبة بالخروج من المدرسة يتراكمون حال سماع الصافرة إلى بيوتهم في فسحة مدتها عشرون دقيقة في السابق كنت أذهب إلى بيت أحد أقربائي مع أبنائه كان الأكل متوفرا مكونا من أرز مطبوخ له رائحة نفاذة اسمها من مسافة مئتي متر قبل الوصول إلى البيت لكن بعد الموت زوجة هذا المحسن توقفت تلك الوجبة التي كنت أنتظرها يوميا بفارغ الصبر ماتت تلك الزوجة الطبية من تكرار الحمل والولادة عليها رحمة الله عليها لم يعد لي مكان أذهب إليه في الفسحة سوى بيت العمة سارة ، لا تقدم لي سوى التمر والماء وحتى التمر صنفان فإن كنت وحدي قدمت لي من تمرها الخاص الذي يحرس ابن أختها على تزويدها به وتخبئه لي تحت ركبتها أما إن كان معي ابن عمي فتقدم لنا التمر العادي من صنف الخضري الذي يعطى لي ولابن عمي وللعنزة لذا كنت أفرح عندما التفت ولا أرى ابن عمي ورائي مع ذهاب أختي للرياض صارت العطلة الصيفية فرصة للذهاب إلى هناك لقد أبهرتني العاصمة بعماراتها الشاهقة وشوارعها الفسيحة ومحالها التجارية المليئة بالبضائع صار سوق المقبرة مكاني المفضل الذي أقضي فيه أوقات فراغي أسير بين مباسط الفواكه والخضروات واللحوم وأزاحهم الرجال والنساء وأتمنى بعض ما يبيعون فكرت في شيء أبيعته فلم أجد سوى الماء الذي يشتغل في بيعه الكثير من الأولاد في مثل سني فهو لا يحتاج إلى رأس مال سوى جردل أضع فيه المال وكأس يشرب منه الجميع أشتري كسرة ثلج ثم أمشي بالماء بين المحال واقف عند مفترق الطرق الشربة الواحدة بقرش واحد بعضهم يكون عطشان ويشترط أكثر من كأس بنفس السعر وبعضهم يضع عذر كي لا يدفع تكون الحصيلة مع أذان الظهر في حدود ريال واحد الجو الثقافي في الرياض أفضل من القرية فهنا تباع الكتب والمجلات وفي المجالس حديث القراءة ومواصلة الدراسة وأحاديث أعمق عن السياسة والمجتمع عدت إلى بلدي بوعي أكثر بدأت أستمع للإذاعة وأناقش بعض الأمور التي لم أسمع بها من قبل سمعتني إحدى قريباتي وكانت كبيرة السن أقول ما أجمل الحرية التفت لي وقالت : أعرف ماهي الحرية ؟ ولم تهملني كي أجيب بل وصلت الحرية أن تأتي إلى بيتك وترى نعال رجل غريب عند الباب فلا تدخل حتى يخرج من عند أهلك بس الحرية ومن يدعو لها لكنني قرأت أن الحرية تعني إطلاق ملكات الإنسان ومواهبه لا غرائزه وأحقاده وأنها تعني رفع الناس أصواتهم ضد الظلم والكبت والفساد وتعني عدم الخوف من العقاب المطالبة بالحقوق من مناخ الحرية وتهب رياح التسامح



ويصبح الجو أكثر ملائمة للتقدم والنجاح ويصبح الناس أكثر غنى وسعادة قرأت أنه مع الحرية يسود العدل ويعم الرخاء وتتقدم الأمم وفي غيابها ينتشر الفساد والظلم وتكثر الأخطاء ويزداد عدد الفقراء وتتخلف الأمة دعك مما يقولون فالحرية تعني الفساد لم آخذ تعريف تلك المرأة مأخذ الجد ظلت أتذكره كواحد من تعريفات الحرية المفترى عليها دخلت ذات يوم بيت العمة سارة فوجدتها

نائمة في منت الدرج وكأنها ثوب يحتضن الحجر وحاولت النزول من سطح المنزل فتعبت ركضت إلى أمي وأخبرتها عن حالة العمة فجاءت مسرعة معها القهوة وإفطار الصباح لم تأكل المسكينة شيئاً منذ البارحة لم تخرج أمي إلا وقد أقنعتها أن تسكن عندها في اليوم الثاني أحضروا سيارة استأجروها لهذا الغرض وحملوا العمة وحقيبتها الحديد يتدلى منها القفل الصغير وعنزتها الوفية إلى بيتها الجديد والأخير أخذت أمي تسهر على عمتها سارة وتعتني بها تجد لذة في خدمتها وتقديم الأكل لها وهي لم تنس ترديد الدعاء لها ولأبنائها كانت تسمعه وتراه يصعد مباشرة من فمها للسماء تردد أمي دائماً الإحسان إلى الناس دين يسدد في ما بعد ها نحن نسدد بعض ما لها من ديون كانت العمة تتناول فنجال القهوة بكل صعوبة تستعيد أمي شريط الذكريات أين تلك القوة وذلك القوام استحالت تلك المرأة الواثقة إلى بقايا امرأة لا تستطيع الحراك هكذا الحياة كل حي له زمانه الذي يوقد فيه كشلة ثم ينتهي إلى رماد لا يبقى منه سوى أثره الصالح لا يوجد في البلدة مدرسة متوسطة قلة عدد الطلبة اضطر الوزارة إلى إقفالها تأخر المطر كثيراً فجفت الآبار وماتت النخيل .





بداية التغيير

زاد العداء بين المملكة بقيادة الملك فيصل ومصر بقيادة عبدالناصر وانقسم الناس إلى مؤيد ومعارض استقبلت المملكة آلاف الإسلاميين من مصر وسوريا اتجه معظمهم إلى التعليم في الجامعات والمعاهد العلمية والثانويات معظمهم كانوا أصحاب خلفيات سياسية كانوا يقولون "غيروا التعليم يتغير كل شيء البرمجة تبدأ من البيوت ومن المدارس الضابط والمهندس والمدرس كلهم من نتاج المدرسة " كانت بداية التغيير الذي لا نزال نعيشه نجح هذا التغيير نجاحا منقطع النظير ولم يكن التغيير محليا فقط بل تعداه إلى دول أخرى وأسهمت في إنجاح هذا المشروع أربعة عوامل

- 1 عامل محلي وأساسه ثقافة محلية لا مجال فيها للنقد الذاتي
 - 2 تنظيم حركي وافد ضيق عليه في بلده فوجد ضالته في بيئة مناسبة اتخذ التعليم وسيلة
 - 3 أوضاع سياسية مواتية
 - 4 الاستعمار ومخالفه من ماس وإرث ثقيل
- ليت التغيير كان جوهريا ليته كان في إشاعة الحب والتسامح بين أفراد المجتمع وحسن التعامل والاحترام ليته في كشف قدرات الشباب الهائلة من العقلية ليته في تشجيع الفن الرفيع كان قادة الصحة مجتهدين أشداء لكن لكل مجتهد نصيب كانت لهم أهداف نبيلة لكنهم أضاعوا الفرصة في التركيز على المظاهر اللباس والدعاء
- صارت المناهج مهتمين بالمتلقين والحفظ على حساب الفهم تهتم بالكمية على حساب النوعية صارت المناهج منفرة للطلاب فهجر القراءة وسار ينتظر نهاية السنة لا لقاءها جانبا لكن أخطر عوامل ضعف التعليم هو المعلم جاء للتعليم لكي يبحث عن الوظيفة فقط دون إيمان برسالة العلم لم تعد المدارس مكان لاكتساب المهارة التفكير وحب القراءة وممارسة الرياضة وتأصيلها لتصبح هذه المهارة عباده يمارسها الشاب والشابة وقت الفراغ وعادات تبقى مع الطالب مدى الحياة المعلمون والمناهج هم أهم وأخطر عوامل التغيير



عودة إلى القرية

استلمت ما يتجاوز الألف ريال بعد ما انتهى العام الدراسي بنجاح وذلك بمثابة مكافأة لي ، خفت على المبلغ من السرقة فسلمته إلى عمي ليحفظه ، وعندما أردنا العودة إلى البلدة أنا وأمي ، خجلت من طلب المبلغ وسافرت بدونه ، كنت أنوي أن أسدد بها ديون أمي لكن هونت علي بقولها لي بأن عمي سيستثمرها بشكل أفضل منا.

ذهبت للسلام على عمتي، سألتني عن المكافأة فأخبرتها بأنها عند عمي ،حينها أرسلت رسالة إلى عمي ليوصلها في أقرب وقت لأمي لأنها في أمس الحاجة لها، وصلت المكافأة بعد أسبوع وسلمتها إلى أمي حينها قامت بتسديد الدين التي اقترضته لبناء البيت ولشراء البضائع للتجارة والباقي وزعته على أقاربنا المحتاجين والفقراء .

عدت إلى الرياض وكان الطريق ترابياً وعراً ، ويستغرق حوالي نصف يوم لمسافة لا تتعدى مئتين وخمسين كيلومتراً ، في حين والدي قديماً كان قد مشاه سيراً على الأقدام سبعة أيام حتى وصل إلى الدرعية قرب الرياض ، عاد بعدها بستة أشهر حتى يجلب معه مستلزماته التي كانت شبه معدومة في ذلك الوقت .

أما جدي فكان حاله أسوأ بكثير عندما عضه الجوع بأنياه ، وماتت ناقته الوحيدة التي تساعده على مصاعب الحياة ، وعندما تعب كتب رسالة لابن عمه بالكويت وأرسلها مع أحد الزاهبين إلى الكويت ، يشكو له فيها عن حاله وما آلت إليه أوضاعه المعيشية ، بعدما قرأ ابن عمه الرسالة بكى وقال : أعرف جيداً لولا الحاجة ما كتب لي ، وأعطى المرسول ناقه محملة بالخيرات ورسالة لابن عمه ، بعد يومين كانت الناقة أمام بيته ، طلب جدي من الأهالي والذين كانوا في مجاعة أن يحضر كل منهم إناء ، وأخذ يعطي كل واحد صاعاً، كان كريماً رغم فقره.

أنا وابن عمي من محبي للقراءة فقررنا التجارة وافتتاح مكتبة اسميناها (مكتبة العاصمة) ولم يكتمل العام إلا وقد كسبنا القراءة وخسرنا رأس المال، لكن أحد الأخوة اليمينين أنقذنا وحوّله إلى محل للخياطة .

جربت بيع الخضر في (المقبيرة) في العطل الصيفية ولكن النتيجة لم تكن أفضل من المشروع الذي قبله ، جربت كتابة الخطابات أمام بعض الدوائر الحكومية لكن صغر سني أفقد ثقة المراجعين بي وبقدراتي.



في ربوع اليمامة الثانوية

في عام ١٩٦٦ التحقت بثانوية اليمامة ثم المعهد العالي في العاصمة .

وفي ثانوية اليمامة نخبة من المعلمين وقد أعجبت بمعلم الأدب الأستاذ خالد برقواوي الذي زرتة بعد تقاعده وقلت له : ما أزال أذكرك بكل تفاصيلك من وجهك البشوش إلى تفانيك في تعليمنا .

لا أزال أذكر مطلع قصيدة الشاعر عمر بن أبي ريشه والذي صور فيها نسرًا كان يسكن قمم الجبال ويلهو في أعالي السماء ثم شاخ وأصبح مسكنه وملعبه السفح ، وكيف حاولت أن تأخذنا إلى عالم الشاعر من خلال أسئلة تفتح العقول ثم طلبت منا أن نعيش في الأعالي كالنسور لا في السفح كضعاف الطيور !

سألته كيف أصبح مبدعًا في تدريس الأدب ؟

واختصر جوابه بقوله الحب لأنه عندما يعشق الإنسان عمله يبذل فيه ويؤديه بتفاني !

من خلال جوابه أدركت الفرق بين معلم مؤمن برسالاته ومعلم يرى عمله ممل ومصدر رزق فقط !!

ولم أنسى قوله بأنه يرى مستقبل ألامه في الطالب الجالس أمامه !

وعند وداعه قلت له :

اعلم بأن الإتيان يأتي بالجهد والمثابرة لا بالمصادفة

و ها أنا أمامك احد طلابك المغروس فيهم حب الأدب واحترام العمل .

ثم سألته هل توقعت أن يثمر عملك ؟



فأجاب : نعم حيث بدأت والنهائية ماثله أمامي وقد تعلمت الكثير من الحياة أهمها الثقة بالله ثم رسم الأهداف واستثمار الوقت بما يفيد وحب الناس ومساعدتهم والتعلم من أخطائي وأخطاء غيري ، الحياة جميلة إذا عرفنا كيف نحياها وها أنا أمامك ، ما استثمرته في أسرتي لم يضيع وأجنيه اليوم حبا وتقديراً مضاعفاً !

ودعته وتذكرت أهمية اختيار المعلمين والمعلمات وتمنيت وجود معايير صارمه لاختيارهم حيث أن المعلم الناجح عماد التعليم الناجح .

كانت الثانوية تعج بالتيارات السياسية والدينية حيث بدأ يزداد نشاط القوميين العرب والإخوان المسلمين في المدارس كما ازداد تداول كتب السياسة والأدب الروسي وقد قرأت عدة كتب وروايات في هذا المجال .

جاءت حرب الأيام الستة والتي كانت ضربة قاضية للقوميين العرب ولقائدها عبد الناصر ، تعلمت منها أن الدكتاتورية لأتبنى أمة تصمد أمام الأزمات وأن الحرية الزائدة تسمح بانتشار الفساد وأن زج المعارضين في السجون لا يصلح الخل بل يزيد أعدادهم وأن أهم عناصر قوة الأمة جودة التعليم ونزاهة القضاء وحسن اختيار القادة .

وبينما كانت إسرائيل تبني قدراتها على أسس علمية كان العالم العربي ينام على الخطب العصماء والقمع مع انتشار الفساد بأشكاله وأنواعه !

قرر بعض المتحمسين لنصرة إخوانهم العرب تنظيم مظاهرة بعد صلاة الجمعة وقررت المشاركة معهم وعرضت على عمي أن يشارك معنا ولكنه رفض مع معارضته مشاركتي مهما كانت دوافعي ، مع ذلك ذهبت للمسجد الكبير وبعد انتهاء الصلاة سمعت النداء لبدء المظاهرة ، سرت معهم ورددت ما يقولون ولكن الشرطة تدخلت وانفض التظاهر وهرب الجميع ولكن أحد الإخوة المتظاهرين حاول الإمساك بي وتسليمي للشرطة وبأعجوبة نجوت منه ولم أكن أبلغ من العمر سوى ١٥ ربيعاً !

لاحظت أن من خططوا للمظاهرة لم يشتركوا فيها وهكذا فهمت كيف يدفع الشباب المغرر بهم بحياتهم بينما القادة وأبنائهم في مأمن !!

ركضت بشدة من شارع لشارع وفقدت حذائي ، توقفت عند بقالة صغيرة واشتريت منها نعلأ رخيصاً ، لاحظ البائع خوفي الشديد ثم التقطت أنفاسي وسألت نفسي ماذا لو أمسكوا بي ؟ من سيخبر أمي وعمي ؟؟

عُدت إلى المنزل لأجد عمي ينتظري على الغداء وقد نسي كل شي عن المظاهرة ، في المساء جاء جارنا والذي كان أحد المشاركين في المظاهرة وأخبر عمي بما حدث وكيف أنه رآني هناك وأخبر عمي ليفخر بي ، غضب عمي كثيراً وأنبني على المشاركة ولكنه في قرارة نفسه كان فخوراً بحسي الوطني .

وصلت من خلال تجربتي لقناعات استمرت معي طوال حياتي :

أولها : أن التعصب على أساس ديني أو قومي داء أصيبت به الأمة العربية وأن لكل منها دوافع خفية للوصول للسلطة .



ثانيها : ألا أخذ كل ما يقال بالقبول وأن أثير الأسئلة حيث إنها مفاتيح المعرفة إذا
أجدنا استخدامها !

ثالثها : داء الأمة من ثقافتها قبل أعدائها !

رابعها : التعليم والمعلم الناجح هم السبيل للنهوض من مستنقع التخلف والجهل !

كلما أحسست بحرقة في صدري وغصة في حلقي من الوضع المتردي ، عدت للتعليم الذي استنجد به فطالما العقول هي العقول
فكيف يتقدمون وتتأخر؟!

وهذا ما حداني لأن أكتب لأكثر من وزير تعليم في بداية تسلمه الوزارة بعض الاقتراحات .

الغريب أن المنتصر في حرب ١٩٦٧ الخاطفة هو الذي شكل لجان لدراسة أسباب النجاح وأوجه التقصير أما المهزوم فاكتفى
بالبحث عن عوامل خارجية لتحميلها مسؤولية الهزيمة .

ولو كانت هناك دراسة جادة لتجاوزنا سبب الهزيمة ، حيث أنه من أهم الأسباب غياب الحريات وسوء القيادة ونقص التدريب
وضعف الروح المعنوية وغياب النقد الذاتي الذي نتجنبه لأننا نعتقد أنه ينقص من قيمتنا !

من السهولة أن نلقي بفشلنا على الآخرين لكن هذا لا يحل المشكلة بل يزيد بها تعقيد !





محاولات لم يكتب لها النجاح

كانت رحلتي الأولى بالطائرة التي كانت متجهة إلى أبها ، وكنت فرحاً جداً ، وذلك عندما انتقلت أختي لها ورغب زوجها في الحج ، فلا بد لي من السفر هناك حتى أكون رجل البيت في غياب صاحبه .

حضرت إلى المطار وأخذوا ينادون على الأسماء ونسيت اسم صاحب التذكرة التي بحوزتي فلم تكن باسمي ، حتى أقفلت الرحلة ومرت الطائرة من أمامي وحلقت بعيداً.

وكانت أسرع وسيلة للوصول إلى أبها بعد الطائرة هي عن طريق البر ، ففي خلال يومين أكون هناك على أبعد تقدير ، فركبت سيارة الأجرة إلى الطائف ، أنزلوني في محطة تغادرها السيارات إلى أبها في الصباح ، وفي الصباح ركبت أول سيارة متجهة إلى أبها ، ولكن لم تصل الرحلة في الوقت المناسب فلقد اعترضها الكثير من العوائق ، أصعبها تجاوز وادي (بيشة) الذي امتلأ بالماء ، وظللنا ننتظر عبوره يومين.

بعدها أصبحنا على مشارف خميس مشيط بعد ثلاثة أيام من مغادرة الطائف، وصلت إلى أبها أخيراً، لكن بعد فوات موعد الحج، فما حج النسيب ولا ركبت الطائرة .





من الدراجة إلى الطائرة

عندما أتميت سنتي الأولى بنجاح في كلية الطيران ، كان هناك ما يسمى بالدروس التحضيرية قبل الطيران ، في رحلتي الأولى شرح لي المدرب كل ما يختص بالطائرة وقيادتها وأمرني بأن أقلد كل حركاته وأتبعه في كل ما يعمل لكنني كنت أبالغ وقتها في ردة الفعل في كل حركة ، فاعتقدت في الرحلات الأربعة الأولى أنني لن أجتاز هذه المرحلة وخاصة أنني سمعت كثيراً عن إخفاقات من قبلي لأسباب مختلفة ، أيضاً مدربي كانت لديه بعض الشكوك في نجاحي ، ولكن في الرحلة الخامسة قررت أن أتعامل مع الطائرة بدون خوف وحزت على رضا المدرب حتى قال لي بعدها مباشرة : ستصبح طياراً ، زادت ثقتي بنفسي وكان هذا كل ما احتاجه .

وبعدها أتى يوم التخرج وفزت بالمركز الأول مع مرتبة الشرف وثلاث جوائز أخرى ، ذهبت بعدها لأبشر أمي وفي طريقي أذيع الحفل ونقل عبر التلفزيون وفي بلدتي القليل من لديه جهاز تلفزيون وسمعوا النتيجة مع ذلك كان هذا حديث البلدة ، يتحدثون بفخر لأنه قد أصبح طياراً ومن أبناء البلدة .

بعدها عدت إلى الكلية وأتى خبر بأنني وبعد الزملاء سنبعث إلى الولايات المتحدة لمواصلة الدراسة ، كانت تجارب جديدة بدأت من شراء القمصان إلى استخراج جواز السفر والتأشيرة.





في الولايات المتحدة

ذهبت أنا وخمسة من زملائي إلى لندن ، نزلنا حينها في مطار (هثيرو) ، سرت مبهوراً مستمتعاً بعد وصولي إلى الفندق ذهبنا إلى حي (سوهو) ، لم يكن لدي أي فكرة عن لندن لكن كانت باهرة ، زرنا أماكن كثيرة منها البيكاديلي و نيويورك .

وصلنا إلى قاعدة (لاكلند) الجوية في مدينة (سان أنطونيو) ، بوابة المجندين في القوات الجوية الأمريكية ، كان التجنيد إجبارياً لكل حامل جنسية أمريكي من الشباب.

دخلت الكنيسة لأول مرة ، وكان هناك شخص يعمل بالكنيسة، أتى يوم الأحد وأخذني هو وزوجته أنا وبعض زملائي ، هناك العديد من الطقوس تقام .

تقام في نادي الضباط بعض الحفلات الليلية كلعبة (البينغو) أو تقدم بعض الفرق الموسيقية ، أسوأ ما يضايقني تلك المخاصمات التي تقع بعد تأثير الخمر في رؤوسهم ، اضطرت في إحدى المرات على الاتصال بالشرطة أثر ضرب أحدهم امرأة وهي تستنجد بأحدهم .

بالنسبة لنظام المرور لديهم فهو صارم ، بعض الطلبة الأجانب قد رخص القيادة تحت تأثير الكحول أو تكرار المخالفات .

يقع كثير من الطلبة ضحايا النصابين من بائعي السيارات، حصل لي أنا وزميلي أن قررنا شراء سيارة قديمة واشتريناها بأربعمئة دولار ودفعنا مبالغ مثالية لإصلاحها ، وتعود بعدها أسوأ مما كانت، وفي النهاية بعناها بمبلغ سبعين دولار أخذ من دبر البيعة عشرين دولار، لكنني لم أتعلم قيادة السيارة لأنها في معظم الوقت في الورشة.

سافر أحد زملائي ، وترجاني بأن أخذ سيارته وأقرضه ثلاثمئة دولار ، أخذت السيارة فكانت لا تمشي إلا إلى الأمام ، فكنت أبحث عن مواقف تسمح لي بالمشي إلى الأمام فقط ، اكتشفت أن السيارة ليست باسم زميلي بل باسم صاحب حانة مكسيكي ، علم أحد ضباط الصف بالمشكلة فتولى زمام الأمر وغير ملكيه السيارة من مالكة الأول دون المرور بصاحب الحانة وذلك بمساعدة المكتب القانوني بالقاعدة .



بعدها ابتسم الحظ لي واشتريت سيارة رياضية جميلة لا تتسع إلا لراكبين ، لفت بها أنظار الجميع واستمتعت بقيادتها، ثم بعثها بنفس القيمة بعد تخرجي لمدرّب الطيران.

انتقلت من مدرسة اللغة إلى مدرسة الطيران في قاعدة (لافلن) الجوية ،

الدراسة مع الأمريكيين مفيد جداً وفيه الكثير من التحدي وساعات العمل من الساعة الخامسة صباحاً إلى الساعة الثالثة ظهراً . والمطلوب مني قراءته يزيد عن الخمسين صفحة.

لكل طالب مهمة، يبدأ اليوم بالإيجاز الصباحي ، يقرأ أحد المدربين الأحوال الجوية ويناقش مدرّب آخر مشكلة أو حالة طوارئ ويسأل الطلبة عن التصرف الصحيح حيالها.

ذهبت إلى المستشفى لأحصل على كشف طبي سنوي ، بلغني الطبيب أنني بحاجة إلى نظارة طبية ، كنت قلقاً من أن أتوقف عن الطيران لكن الطبيب طمأنني بأن النظام يسمح لي بلبس النظارة في الطيران حتى لطيران المقاتلات.

خطت أنا ومجموعة من زملائي قضاء الإجازة في (لاس فيغاس) كمقصد سياحي في هذا الوقت من السنة، وبعد أربعة أيام كنا على طاولة القمار نعتقد أننا سنعود بمبالغ طائلة ، أضاع معظمنا ما لديه من نقود وكنت ممن جرب حظه وكسب كثيراً في البداية ثم خسر كل شيء ، كان هنا أمين صندوق عاقل ولم يغامر فبقى ما يكفينا للعودة.

هنا كثير من الأنظمة والقوانين في بلادهم والتي لا تستثني أحدا وتطبق على الجميع، وكثير من الطلبة الأجانب يرتكبون مخالفات من الممكن تفاديها ، أحدهم أوقف سيارته جانب الطريق ونزل يقضي حاجته ، بعد قسيمة المخالفة ذهب للقاضي في اليوم التالي وخيره بين ثلاثين دولار أو السجن ثلاث أيام ، وزميل آخر دهس غزالا ، فإما أن يدفع مئتي دولار أو يذهب للمحكمة .

انتهى برنامج الطيران وبقيت دورتان ، واحدة في ولاية واشنطن والثانية في فلوريدا، ذهبت إلى الدورة الأولى، وهي عن كيفية البقاء على قيد الحياة في ظروف الحروب ، نتعلم تقنيات عديدة منها السير ليلاً باستخدام البوصلة والتخفي عن العدو ومحاولة الحصول على الماء كعنصر أساسي .

مدة الدورة أسبوعان، ومعظم المدربين ضباط صف خدموا في الفيتنام ، من أهم ما يركزون عليه قوة الإرادة، وحب الحياة ، وعدم الاستسلام مهما صعبت الأمور أو قلت الموارد.

في مدينة (سبوكانSpokane) قريبة من القاعدة الجوية ، التقيت بصديق قديم دعاني لحضور حفل كبير تقيمه الجامعة في ملعب كرة القدم، يكتظ الملعب بالشباب والشابات ويشربون البيرة حتى الثمالة وفي نهاية الحفل كان نصفهم نائمين ، يوم الإثنين أول أيام الأسبوع ، حيث ذهبت مع صديقي إلى الجامعة فوجدت شباباً مختلفين عما شاهدته تلك الليلة ، رأيت النشاط والتحدي

والحركة الدائبة ، رأيت المكتبة في مبنى مستقل لا تقفل أبوابها إلا ساعات قليلة آخر الليل ، بعض الطلبة الذين في المكتبة كانوا بالأمس يسهرون ويشربون في الملعب ، لو تخلصوا من شرب الخمر والمخدرات لكان لهم شأن أعظم مما هم فيه.



الجامعات هي مصدر الفكر النير والحاملة لمشعل الحرية ، ولكل جامعة قيم تعتنز بها. في الجامعة نشاطات كثيرة ، ثقافية وفنية ورياضية على مستوى الولاية وبعضها على مستوى الدولة.

في قاعدة (هومستيد Homestad) على المحيط في ولاية فلوريدا ، في دورة مدتها ثلاث أيام ، يتم فيها التدريب على سبل النجاة في البحر وتعلم السباحة ، والاستخدام الأمثل لمعدات النجاة الموجودة في قارب النجاة الذي يكون مع الطيار إذا قفز في البحر .





العودة إلى المملكة

مضى أكثر من عام على مغادرتي المملكة، الآن حان وقت العودة، وليس هناك وسيلة اتصال بيني وبين أهلي لأخبرهم بعودتي سوى الرسائل، وعدت إلى المملكة مباشرة عن طريق إيطاليا.

وصلت إلى المملكة وقد تغيرت أموراً كثيرة، كان أهمها وفاة عمتي سارة، والتي لم يعلمني أحد بموتها، وكنت قد أحضرت لها معي هدية، لقد ماتت ومات معها الكثير تذكرت بموتها الحكمة الإفريقية التي تقول: (حين يغيب الموت عجوزاً تغيب معه مكتبة واسعة).

عدت إلى بلدتي الجميلة أسير على أرضها في وسط النخيل الشاحب وتلك المزارع التي شاخنت، استظل بسمائها واستنشق هوائها، واستمتع لغناء اليمام وأتذكر تلك اليمامة الجميلة بالطوق الأسود حول عنقها ويأخذني الحنين إلى الوراق فأقول قصيدة في اليمامة مطلعها:

قال فلاح وشاعر لليمامة:

هل تبيعين لصبي

طوقك الحلو الجميل؟

هزت المنقار،

قالت: لا أبيع.

هل يبيع الأوفياء ذرة من كبرياء

دأبت الماء بيدي، ولاح في خاطري يوم أن كانت أُمي تحفظ اللبن بطريقتها ليظل بارد وبعيدا عن الزواحف، الأشجار صامته وأعشاش الطيور كنيية، المكان موحش، وجلست تحت سدر آوي إليها عندما كنت صغيراً شعرت كأنها تخاطبني وتقول اذهب كما ذهب غيرك، هكذا الحياة في هذا المكان تأخذني إلى عالم من الأحلام.



انتشرت مزارع جديدة تفوق المزارع القديمة أضعاف المرات، وأصبحت تتفوق عليها في الآلات، وانتقل بعض المزارعين للعمل الحكومي، فمورد المزرعة لا يكفي كما كان في القديم.

سألتني أمي كعادة الأمهات عن النساء هناك وهل هن مثل النساء هنا أم يختلفن؟

زاد استغرابها عندما علمت أنهن يقابلن الرجال بدون حجاب، ولم تصدق وقالت النار موعودة أن تمتلئ بالناس والحجارة، فتذكرت تلك المفارقة العجيبة عندما سألتني واحدة من نادي الضباط في أمريكا:

لماذا لا تشرب وترقص؟

وبدأت تتوالى أسئلتها لي عن عائلتي وكيف هي طبيعة الحياة الاجتماعية لديهم.

قارنت بين أسئلة أمي وبين أسئلة تلك المرأة، فعرفت أنه من السهولة أن ييرمج الإنسان إلى أبعد ما يكون.

تسألني أمي أسئلة كثيرة بعضها تستوعب أجوبتها وبعضها لا يمكن أن تصدقها، رغم إدخال بعض التعديلات عليها. سألتني عن دينهم:

هل هم مسلمون؟

ما هو دينهم؟

لهم دينهم الذي أهملوه، وتسلب عليهم من يدعون امتلاك الحقيقة وتاجروا بالدين فشوهوه، وجعلوه مطية للوصول إلى السلطة والحكم، ففسروه كما يحلو لهم وزاد بينهم التعصب وتفرقوا بسبب المذاهب، حرب واحدة استمرت ثلاثين عاماً بين مذهبي الكاثوليك والبروتستانت، أهلكت ثلثي الشعب الألماني .

هم من أشد الناس ذكاءً وحرصاً على الحياة، لكن سوء استغلال الدين يقود إلى كوارث، والتعصب يعمي، ومعظم مآسي هذا العالم من التعصب.

يتمتعون بصحة جيدة وبشرة صافية وذكاء، لكن ترى التأثير السيئ للمادة عليهم، وتفكك الأسرة.

يتزوجون، ويهتمون بأبنائهم في الصغر أفضل مما نفعل، ويكتفون عادة بطفل أو طفلين، ولكن بعد سن الثامنة عشر يتركونهم أحراراً فيتركهم الأبناء فيما بعد.

سألت زميلاً لي عندما كنت هناك:

متى رأيت والدتك؟ أجب: قبل شهرين، وهي في المدينة ذاتها ولكن يرى أن ظروفه لا تسمح برؤيتها بشكل دائم.

طلبت من زميلي زيارة والدته برفقته فرحب سعيدياً بذلك وذهبنا في نهاية الأسبوع إليها واقترحت أن نحمل لها هدية من صديقه العربي، وقد رحبت بنا والدته كثيراً، ورحب بنا صديقها الذي يسكن معها وقد جاوز السبعين من العمر، لكنه يتمتع بحيوية الشباب، وهو ضابط متقاعد برتبة عقيد وكان طياراً سابقاً في الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية، ثم بعد تقاعده عمل في



التعليم. تجاذبنا أطراف الحديث عن التعليم في أمريكا، وبعد نهاية الزيارة أخبرته أن ديننا دين الرحمة وتهذيب الأخلاق وتحسين العلاقات بين الناس، ولعلي بزيارتي تلك تركت له انطباعاً ودرساً علمياً أفضل مما تتركه الكثير من المواعظ.

كنت ووالدتي نجلس تحت عريش العنب بأغصانه اليابسة. أمام النخل الكثيب سألتني أمي: هل لديهم نخيل مثلنا؟ فقلت لديهم كل شيء، عندهم الأنهار والأمطار الدائمة، وعندهم القوة التي صاروا يعبدونها كرب جديد، وأعمت أبصارهم، وشنوا الحروب لأجلها.

نظرت أمي إلى بيتها القديم ثم قالت: هل تصدق أننا عشنا هنا أكثر من ثلاثين عاماً؟ انظر إلى شجر الأثل كيف يقف صابراً يصارع العطش والغبار، وفقد لونه الأخضر.. الماء هو الحياة.

كانت الشمس على وشك الغروب خلف التلال عندما قالت لي أمي: عمك بحاجة إلى العشاء، هيا إلى هناك. لقد كبر كثيراً وصار ينسى وسريع الغضب، لكنه يملأ حياتي حبا وأماناً.

عدت إلى الرياض، حيث عينت مؤقتاً في كلية الملك فيصل الجوية، كان الحديث وقتها في المجالس يتركز على الأراضي والمكاسب الخيالية التي جناها تجار العقار، واختفى الحديث عن الثقافة والسياسة، والطفرة، ولا تصريف لفائض الأموال سوى العقار.

يصرف للمبتعث راتب في بلده عدا المكافأة، في حسابي خمسة وعشرون ألف ريال، فكرت في أفضل طريقة لاستثمارها، فرأيت الكل متجه للعقار، فقررت شراء أرض بعشرة آلاف ريال وبعثتها بعد عام بمائة ألف، فاشتريت سيارة بعشرة آلاف وأرسلت لوالدتي خمسة آلاف لتكمل إصلاح البيت وترميمه.

لم يكن لدي أنا وزملائي في الكلية عمل محدد، لكن هناك طلبة مستجدون في الكلية كلفت بإعطائهم محاضرات عن العسكرية والطيران، وأخذتهم في جولة في أروقة الكلية، لأفاجئ بقائد جناح الطيران يستدعيني وكان من الأخوة الباكستانيين، غاضباً على وجود الطلبة وانتشارهم بشكل عشوائي، وبدون موعد سابق، دافعت عن نفسي، وأبلغته مع من نسقت زيارتهم، ودونت في مذكراتي درسين مهمين:

الأول أن التنسيق والاتصال سيظلان مشكلة أزلية تؤثر في سير معظم العمليات، الثانية: أن من يجتهد ويعمل سيخطئ، وعلى الآخرين عذره.

ركبت مع زميل لي بالطائرة العمودية، ورغم أنها رحلة تدريبية إلا أن زميلي كان يستغلها في مراقبة الآخرين، مما أدى لتعرضه وتعرض الآخرين للخطر بعمل ليس من صميم عمله، أخطر شيء في الطيران مخالفة الأنظمة دون رقابة صارمة وجزاء رادعة.



قامت حرب بين العرب وإسرائيل، لتعلن عهدا جديدا من الصراع، ومقدمة لحل دبلوماسي وخاصة على الجبهة المصرية، نتائج الحرب كانت مرضية للطرفين، فلاهي نصر واضح و لا هزيمة واضحة وكانت رد اعتبار للعرب وللمصريين بشكل خاص،

رسالة لإسرائيل أن الحل لن يتم بمزيد من الحروب واحتلال أراضي الغير، حربا أدارها السياسيون أكثر من القادة العسكريين على أرض المعركة ذهبت إلى الظهران، تلك المدينة الجميلة المنظمة، معظمهم أهلها يعمل في أرامكو، ومنضبطون ينامون في وقت مبكر، واحترام الأنظمة واضح في كل مكان.

هناك محلان للسينما، واحد في القاعدة اسمه (سينما النخيل) لم ييبث أن أقفل، والثاني في سكن كبار الموظفين في أرامكو لا يختلف عن الموجود خارج المملكة، ويسمح للضباط بدخوله.

هناك الشواطئ الممتدة على الخليج، فكنت دائما أذهب في نزهة إلى الشاطئ وأحمل في سيارتي كل متطلبات الجلسة بجانب الشاطئ والسمر بجانب البحر، ونبقى حتى منتصف الليل، وهذا البرنامج المفضل لمن يزورنا من الرياض.

وأصبح سكني غرفة متواضعة، مقصدا للكثير من الأقارب والأصدقاء، في أحد الأيام وبعد نزولي من الطائرة أخبرني زملائي أن هناك من ينتظرنني في استراحة الطيارين ومعه فراشه المربوط وحقيبته الصغيرة.

أتى الصباح إلى القاعدة وبحث عني، وجدني وسكن معي في غرفتي أياما حتى أتم عمله.

تمتاز المنطقة الشرقية بقربها من البحرين وقطر والإمارات والكويت، مما يتيح التقاط البث التلفزيوني، خاصة في فصل الصيف، إضافة إلى محطة شركة أرامكو التي تبث باللغة الإنجليزية.

أسوا ما في المنطقة الشرقية تلك النيران المشتعلة التي ترى من مسافات بعيدة، مخلفة التلوث، كان هدرأ لا يمكن تصوره إلى أن بدأت المملكة خطواتها لبناء المصانع العملاقة للبتر وكيميائيات في الجبيل وينبع، على أيدي أبنائها المخلصين.

اجتزت الدورة بنجاح، وحصلت على المركز الأول ليستدعيني قائد السرب ويخبرني بترشيحي مدرس طيار، بقيت في الظهران، أما بقية زملائي فتوزعوا على الأسراب المقاتلة.

أجمل ما في الطيران بالمنطقة الشرقية، تلك المناظر من علو، سواحل الخليج المتعرجة، وسواحل نصف القمر و العريزية، وعلى القادم من الشرق أن يلتفت يمينا ليرى البحرين، ويلتفت شمالا فيرى الدمام بشاطئها الممتد الجميل، وترحب بك بساتين القطيف وشواطئها، أما في الليل فلا ترى إلا الحرائق التي تحيل ليل الصحاري نهارا .

يأتي أحد الأقارب من الرياض فيمضي ليلته يتحدث عن الطفرة وما أحدثته من غنى فاحش لبعض الناس، وما فات من فرص على البعض الآخر.



فكرت في أن اشتري أرضاً دون أن أبيع ما لدي، أرسلت مع قريبي سيارتي وطلبت منه بيعها وشراء أرض بقيمتها في شمال الرياض.

اشتريت سيارة من أحد زملائي المبتعثين بالتقسيط. استعارها أحد ضباط الصف للذهاب مع زميل له للدمام، وبعد ساعات أخبرني بأن حادث وقع لهما وقد نجو منه بأعجوبة لكن السيارة تلفت. لقد كان درسا تعلمته في الغربة ألا آخذ سيارة أحد ولا أعطي سيارة لأحد.





أخطاء بين السماء والأرض

أكثر الأخطاء في هذه الحياة من صنع الإنسان، ومنها حوادث الطيران. أقلعت للمرة الأولى بطائرة ذات مقعد واحد، مزود بجهاز ملاحه ذاتي، يشير إلى الجهة المطلوبة، بشرط أن تكون المدخلات لخطوط الطول والعرض صحيحة.

اتجهت شمالاً نقطة البداية خزان ماء فوق مدينة الدمام، أبدأ بحساب الوقت والمسافة كلها تشير إلى معلومات صحيحة، أتجه غرباً نحو النقطة الثانية، قرية وسط الصحراء، لا وجود لها، ربما تجاوزتها من دون أن أراها، توجهت للمحطة الثالثة جنوباً في عمق الصحراء، فلا أرى في الخارطة ما يتطابق مع ما أراه على الطبيعة، لا بأس سأكمل حتى النقطة الرابعة لعلني أجدها، لا وجود لها، أجهزة الملاحة غير فعالة وتعطي معلومات خاطئة. والوقود قليل ويحتاج علي العودة إلى المطار مباشرة؛ أتحدث بالراديو فلا يسمعي أحد، كنت على ارتفاع منخفض كما تتطلب الرحلة، تحيط بي الصحاري، وكل التضاريس متشابهة، أسوأ شيء نفاذ الوقود في الصحراء حيث لا تدري إلى أي اتجاه تذهب. أصرخ في الراديو ولا مجيب؛ تذكرت شيئاً واحداً طالما سمعته، تحويل السرعة والوقود إلى ارتفاع، والاتجاه نحو الشرق باستخدام البوصلة الاحتياطية، مع الارتفاع يقل استهلاك الوقود، ويزيد مدى الاتصال، أعلنت حالة الطوارئ وطلبت النجدة، سمع ندائي، ووجهت إحدى الطائرات لتراقبني وتقدم لي ما أحتاج من مساعدة، حتى وصلت إلى المطار بسلام، احتضنت الطائرة وشكرت الله ثم كل من قدم لي العون والمساعدة.

درس آخر تعلمته جيداً إذا كانت البرمجة خاطئة فالنتائج مدمرة؛ الشك والمساءلة والمقارنة مطلوبة لمعرفة الاتجاه الصحيح والوصول للهدف.

تجربة أخرى حصلت في صباح يوم جميل قمت برحلة ملاحية على ارتفاع منخفض، تبدأ الرحلة من الصحراء وتنتهي فوق مياه الخليج، ها هي مدينة (سلوى) قرب دولة قطر، يبدأ منها آخر خط ملاحى إلى القاعدة، قوانين الطيران تحدد الارتفاع فوق البحر أو اليابسة لأغراض السلامة، خالفت الأوامر وطرت على ارتفاع أقل من الحد الأدنى، قبل القاعدة بثلاثين ميلاً، فحصل تصادم بيني وبين طائر كبير، بدأت صعودي مباشرة وأعلنت حالة الطوارئ، وأطفأت المحرك واتجهت إلى المطار مباشرة مستعينة بالمحرك الآخر، وكلني خوفاً من الحريق أو انطفاء المحرك الثاني.



هبطت الطائرة بسلام، بعد أخذها إلى حظيرة الطائرات شاهدت الضرر الذي في الطائرة كأنني عائد من معركة، أحسست بتأنيب الضمير لمخالفتي للتعليمات، وتألمت لذلك الطائر الذي لا ذنب له سوى أنه كان في المكان والوقت الغير مناسبين.

مر علي في أحد الليالي زميل عزيز، كان كثيراً ما يقضي عندي بعض الوقت بعد صلاة العشاء، نشرب القهوة ونتحدث في شؤون الحياة .

كان الزميل على غير عادته في تلك الليلة، متحفزاً للحديث قال لي: لقد كنت في جولة في القاعدة، ذهبت إلى أماكن كثيرة وكنت وحيداً، قررت أن أتزوج مللت من العيش وحيداً

في الصباح كان هذا الزميل في طائرته في رحلة تدريبية بصحبة المدرس، سقطت طائرتهما قبالة شواطئ نصف القمر، واحتضنته مياه الضحلة ومعه دفنت أحلامه الكبيرة، كان المدرب يقوم بحركات بهلوانية على ارتفاع منخفض (قانون مورفي مرة أخرى: إذ كان هناك مجال للخطأ فسيحدث).





أهم خطوة في الحياة

مللت حياة الوحدة، ورغم كثرة المهمات، فقد اختاروني مسئولاً عن سكن وإعاشة زملائي، إضافة لعملتي طياراً في السرب، لا يوجد أي نشاط ثقافي، فالفراغ يتكفل به البحر والأسواق والسينما في أرامكو.

اقترب الابتعاث إلى أمريكا فقد غادر كثير من الضباط إليها، لا أريد أن أكون وحيداً في الغربة، ولابد من زوجة تكون رفيقتي لما بقي من أعوام تقاسمني الهموم والأفراح كان أهم ما أريد معرفته، علاقة الأسرة ببعضها، وألا يكون العنف هو الوسيلة المستخدمة في التربية، ففاقد الشيء لا يعطيه، أريدها متعلمة، ولديها الاستعداد لتعلم المزيد.

ذهبت إلى والدتي أفاتها في أمر الزواج وأخذ رأيها في من وقع عليها اختياري، إنها ابنة عمي عشت معها سنوات كثيرة وعرفتني جيداً، وأعرف والديها وحسن أخلاقهما، رحبت أُمي بأمر زواجي، وذهبت والدتي لعمي لخطبة ابنته واشترط علي بأن تكمل تعليمها، وسألني عن موعد الزواج فأخبرته بأن موعد سفري للولايات المتحدة بعد ثلاثة أشهر وأريد الزواج قبله، فكان الزواج بعد ثلاثة أسابيع في حفل عائلي تميز بالبساطة أمضينا شهر في الغاط ووعدت زوجتي بشهر عسل يمتد لعام في أمريكا

عدت إلى الظهران لإنهاء إجراءات السفر والحصول على التأشيرات المطلوبة، إلا أن زوجتي أكدت وجود الحمل وخوفها من الغربة وحيدة، بعيدة عن أمها التي ستقلق عليها. أفنعتها بالسفر وأشرت عليها أن تبقى خبر الحمل سرا خاصة عن والدتها، وبدأت أقدم لها جميع المغريات التي تشجعها على السفر.

أمضينا الأسبوع الأول في لندن بصحبة زميل لي وزوجته، كانت مختلفة تماماً عن توقفي الأول مع زملائي العزاب، اشترت خارطة عليها معالم لندن الشهيرة، ووضعت جدولاً لرؤية أهم معالمها، ذهبنا لرؤية المتاحف واستمتعنا كثيراً برؤية تماثيل الشمع للمشاهير، وأكثر ما أعجبنا حدائقها الملكية الخمس المفتوحة للجمهور وغيرها من المعالم التي توضح مدى التقدم والإبداع في هذه الأمة.



في ربوع الولايات المتحدة

واشنطن العاصمة، أولى محطاتنا في الولايات المتحدة، سميت واشنطن بهذا الاسم تخليداً لأول رئيس للولايات المتحدة.

تعج هذه المدينة التي أحسن تخطيطها بالمتاحف والمباني الحكومية والنصب التذكارية، والمكتبات والحدائق والمسارح التي يقصدها السياح من جميع أنحاء الولايات المتحدة، ومعظم سكانها من السود وموظفي الحكومة الفيدرالية، وتكثر فيها الجريمة نتيجة المخدرات وتجارة الجنس والسرقات، ويركز الإعلام على كل ما يقع فيها من حوادث ومخالفات.

المحطة الأخيرة مدينة (سان أنطونيو) تلك المدينة أتي انتقلت من اسبانيا إلى المكسيك ثم إلى الولايات المتحدة، أكثر سكانه يتحدثون باللغة الإسبانية، وينحدرون من أصول اسبانية ، تكثر فيها المنشآت العسكرية من قواعد ومنشآت صحية ومراكز أبحاث.

البحث عن سكن وسيارة ليس مشكلة مادامت تمتلك المعرفة والمال، انتظمتنا الأربعة أنا وزوجتي وزميلي وزوجته في دورة ينظمها المستشفى عن الحمل والولادة والعناية بالحامل ووليدها في مستشفى (ولفرد هول) الشهير داخل قاعدة (لالكلاند) الجوية انتقلنا إلى قاعدة (راندولف) التي تؤهل الطيارين ليصبحوا مدرسي طيران ، كنا أربعة من السعوديين ، والبقية من الأمريكيين ، اثنان منهم عادوا للتو من الأسر في فيتنام ، أحدهما برتبة عقيد والآخر برتبة رائد ، كان التنافس شديد والمعنويات عالية ، يقول أحد المدرسين : قبل وصولكم حذرنا المسؤولين من كثرة غيابكم ، ولكن دهشنا عندما لم يتأخر واحد منكم ولو لمرة واحدة ، بينما تأخر بعض طلبتنا من الأمريكيين ، لقد غيرتم النظرة المأخوذة عن الأجانب .

إن أسوأ شيء عندما يرسل إلى تلك البلاد من لا يهمه مصلحة نفسه ولا مصلحة بلده، لأسباب متعددة، فيرتكب حماقات بحق نفسه ودينه وبلده، لذا كانت شركة أرامكو تختار بشكل جيد، تعد بشكل جيد ثم تتابع عن كثب، خاصة التحصيل العلمي، وبعد عدد من الإنذارات يفصل المقصر، فالفرق واضح بين مبعثيهم و مبعثي الجهات الأخرى.



حان موعد ولادة زوجتي، وذهبت بها إلى المستشفى، وبقيت معها إلى أن مرت عملية الولادة بسلام وهاتف أهل زوجتي في الرياض، وأخبرتهم بولادتها، وأرسلت لهم صور المولود تحمله أمه.

عادت من المملكة المرأة الأمريكية التي تعرفت عليها في رحلتي الأولى إلى أمريكا، ازدادت ضعفاً أو تفاقم المرض عليها كثيراً، لكنها نشيطة ومحبة للخير، تعرفت على زوجتي وصارت مستشارتها في كثير من الأمور الخاصة بالنساء.

حضر أحد المبتعثين وزوجته من المملكة، قابلتهما صدفة وقد وصلا للتو، لا يعرفان أين سيسكنان ولا كيف سيتدبران أمورهم، ساعدتهم في تدبير السكن المناسب، وسيارة مناسبة لهم، ونشأت صداقة بين الأسرتين، وأخذت زميلي الجديد إلى نادي الضباط، متزوجين وعزابة، يشربون ويرقصون، ومنهم من يمضي وقته في لعب البلياردو، وبعد العودة إلى البيت حدث الضيف زوجته وشرح لها كل شيء بالتفصيل الممل، وزاد من عنده ليثبت لها حسن سلوكه مقارنة بالآخرين.

فأصرت زوجته على زيارتنا، بدافع الشوق والوله، وقمت بواجب الضيافة وأخذتهم إلى منتزه جميل داخل القاعدة، انتهت الزيارة ولكن بعد أن ملا التهجم وجه زوجتي، وعندما سألتها عن سبب هذا الحزن قصت علي ما قالته تلك المرأة، وأردفت أعرفك وأثق بما تعمل، لكن تلك المرأة عملت جاهدة لتزرع الشك شيء واحد أريده: ألا تراهما بعد اليوم.

تعطلت سيارتي، أوقفها عند أول ورشة إصلاح، وطلب مني صاحب الورشة تسعين دولاراً عدا قطع الغيار، وليس لدي هذا المبلغ، ذكرت لزميلي الرائد الذي عاد لتوه من فيتنام، فاقترح علي بأن نصلحها أنا وهو غداً في ورشة داخل القاعدة الجوية، تسمى ورشة الهوايات، كل يقوم بإصلاح سيارته وما على صاحب السيارة سوى دفع قيمة بسيطة مقابل استخدام المعدات، ويوجد بها استشاريون، وبجانبنا في الورشة ضابط كبير برتبة فريق، عليه ملابس الطيران يصلح سيارته الرياضية، يعامل هذا الضابط كما يعامل غيره؛ أنهينا إصلاح السيارة التي لم تكلف سوى خمسة دولارات وأربعة دولارات لقطع الغيار ودولار لاستعمال المعدات مع تنظيف المكان وتسليمه كما كان، شكرت زميلي الرائد وعزمته على الغداء في مطعم يختاره وافق بعد إصراري عليه، وذهبنا إلى (ماكدونالدز) تناولنا غداء بسيط وشكرته.

لا يمارس الطيران الليلي في قاعدة (راندولف) بسبب كثرة الخفافيش في الليل، تخرج بأعداد هائلة عند حلول الظلام وتشكل خطراً على الطيران، وكنت أتساءل عن عدم القضاء عليها فأخبروني بأنهم قد عملوا دراسة للمشكلة ووجدوا أنها تسكن في مغارة قريبة من القاعدة ومن السهل القضاء عليها، ولكن القضاء عليها سيقضي على التوازن البيئي فيها، حيث هذه الخفافيش تأكل من خمسة إلى عشرة أطنان من الحشرات، وكان محدثي من أنصار البيئة، وكان قرار الإبقاء على الخفافيش لتقضي على الحشرات، أما الطيارون فلديهم فرصة الطيران في مكان آخر.

في دول العالم الثالث تتخذ القرارات بناء على مصالح شخصية أو اقتصادية دون النظر إلى أضرارها البيئية؛ انتهت دورة مدرسي الطيران بنجاح تعلمت خلالها أموراً أساسية، من أهمها أن التدريب الجيد هو الأساس لقوات جوية محترفة، لا تجامل



على حساب أحد ، لا تسمح لمن لديك شك في قدرته على النجاح بالتجاوز ، فالطيران مقدرة ، والضعيف سيرافقه الضعف كظله ما بقي في هذا المجال ، وقد يكون سببا في هلاكه وهلاك غيره ، كذلك الطالب الممتاز ربما يقتلك لأنك تثق فيه و لا تراقبه بشكل لصيق ، أحبب عملك تستمتع به وتبدع وإلا صار عبئا وحملًا ثقيلًا ، ستقضي الساعات الطويلة داخل السرب ، ولكنها ضريبة النجاح ورد جميل الوطن ، والمتعة في العمل علاج لكثير من الضغوط والأمراض .

الدورة الثانية في قاعدة (وليمز) في (فينيكس أريزونا) القاعدة أقلت في ما بعد وأعيدت ملكيتها لبلدية المدينة التي استثمرتها بتأجيرها للقطاع الخاص الصناعي الذي له علاقة بالقوات الجوية، أما المدينة فواحدة من أسرع المدن نموا وجذبا للسياحة وتحيط بها أشجار الحمضيات التي تباع بأسعار زهيدة.

تعرفنا على جارنا الجديد وزوجته وابنتيه، من بلاد حاتم الطائي، وهو يجيد العزف على العود والربابة، والزوجة غير متعلمة، لكنها تجيد الطبخ، وهي طيبة وخلوقة، وكنت أتحدث أنا وإياه باللغة العربية الفصحى.

في الصباح ذهبنا جميعا ومعنا أطفالنا في رحلة صيد، وكانت حصيلتها أرنبه كبيرة في السن والجسم، أكلتها أنا وزميلي أما البقية فقد طلبوا التوقف عند أول مطعم وجبات سريعة.

الصيد في الولايات المتحدة منظم وتحدده مواسمه، وعدد ما يصطاد ونوعه فلا يصيد الإنسان لمجرد المتعة، ولا يصيد الأنثى، لم استمتع بالصيد، وكانت الأولى والأخيرة.

رأيت أحد الزملاء يصلح أسنانه، فقررت إصلاح أسناني التي لم يتعامل معها الطبيب سوى مرة واحدة، حين أجبرني الألم على الذهاب إليه، وكان في المرحلة الثانوية، وخلع فيها الطبيب سني بطلب مني !!

تعد أمريكا من أفضل الأماكن عناية بالأسنان، ولكنه مكلف جدا ، وشكرت الله على العلاج لأنه على حساب البعثة .

تعرفت على طالبين من المملكة لا يتجاوز عمرهما الثمانية عشر عاما أحدهما يبدو من عائلة ميسورة، صغار السن يشكلون فرصا مناسبة للنصابين.

لاحظت أنه يزورهم شخص عربي متزوج من سيدة أمريكية يبقى عندهما طويلا ويستخدم الهاتف بكثرة خاصة في غياب أحدهما، ذهبوا جميعا لشراء سيارة لأحدهما وكان في العملية نصب واحتيال، ولكني تدخلت فكشفت اللعبة وأفسدت الصفقة على ذلك الشخص النصاب مما أغضبه وسبب القطيعة، فقامت بتحذير الطالبين من الثقة الزائدة بالآخرين، ونصحتهم بمراجعة البنك في أمورهما المالية.

المهمة في نهايتها ولا بد من وداع عام جميل أثمر عن تجارب ثرية ومعلومات قيمة خاصة في مجال الطيران ،والحق أن من يريد أن يتعلم ويستفيد سيجد المكان والإمكانات المناسبة ،المدرّبون من أفضل من يقوم بالمهمة ،معظمهم من الشباب برتبة نقيب ورائد



،تملأهم الحماسة ويقضون الساعات الطوال داخل الاسراب ،يطيرون ويكتبون التقارير ،لديهم تنافس عجيب وتعاون منقطع النظير و إحساس كبير بالمسؤولية ،ولديهم مفاهيم خاطئة عن الحياة فهم يروجون في ما بينهم أن الطيارين المقاتلين لديهم صفات مشتركة :قيادة سيارة رياضية وشرب الكحول وتدخين السيجار ومطاردة البنات ،ومنهم من صدقها ،وصارت بعضا من قيمه .





عودة إلى الأهل

قررت أنا وزميل لي مع أسرتينا بدلا من العودة مباشرة إلى الأهل أن نتوقف في سوريا لمدة أسبوع، ما بين الجامع الأموي، ودمشق وأهلها، والغوطة .

ذهبت إلى الناس الطيبين في سوق الحميدية، هؤلاء هم أهلي يتحدثون لغتي وأتحدث لغتهم، وتناولنا طعام الغداء في الزبداني، فكان مساء لا يعوض في قاسيون حيث الجمال يناديك من كل جانب.

كيف آتي إلى سوريا ولا أرى المعرة التي ولد فيها الشاعر والمفكر أبو العلاء المعري، إنها معرة فأخذت سيارة أجرة وقضيت بعض نهاري في المعرة. أزعجني في سوريا الفارق الكبير في المعاملات المالية في المصارف السورية ومثيلاتها في الغرب. ذهبت لأصرف شيكات سياحية في المصرف، قضيت أربع ساعات، في مما اضطرني لذهاب إلى المدير العام فشرحت له ظروفه؛ أجلسني المدير وأرسل من يكمل الإجراءات لشيك سياحي من المفترض أن يصرف في الفنادق والمتاجر.

ليت كل موظف في دول العالم الثالث تتاح له فرصة زيارة دولة من الدول (الاسكندنافية) ليعرف قيمة الإنسان، هناك يركب رئيس الوزراء بجانبك في القطار أو يقف خلفك ينتظر دوره للحصول على بطاقة دخول إلى دار سينما.





من يستثمر القروض

لدي أرض في بلدي تنازلت عنها لوالدي حتى تتمكن من بناء بيت بدلا من بيت الطين، لكن البنك العقاري يقفل أبوابه لكثرة التجاوزات، فتح البنك أبوابه بعد عام، ولكن بشروط صعبة، خفضت مبالغ القروض للمدن الصغيرة، لن تستفيد والدي، سأكمّله بلا قرض من البنك.

كثير من موظفي الدولة تركوا وظائفهم، إما لفتح مكاتب عقار، أو لفتح مؤسسات للبناء أو لأعمال أخرى كثيرة، وكثير منهم كان مصيره الإخفاق لعدم وجود الخبرة وسوء الإدارة، ورداءة العمالة.

لدي مزرعة وأريد أن استفيد من القروض، أفضل أنواع النخيل في الأحساء، أخذت سيارة كبيرة وتوصية من أحد المزارعين لصديق له في الأحساء، قرأ الفلاح الرسالة وسألني: ماذا تريد؟

أريد أجود أنواع النخيل، أريد نوعا واحدا فقط.

لا بد من أنك تريده من نوع (الخلاص) ليس لدي شيء لكن دعني أسأل جاري أبا فلان، لم أشعر بالراحة مما قاله لي الفلاح لذا ذهبت إلى أحد الفنادق وسط البلد ونمت تلك الليلة.

وفضلت بالاتصال لقريب لي يعمل في أحد المحاكم هاتفته ردت على زوجته الطيبة، وأصررت على حضوري في حين ذهبت وحضر الشيخ ورحب بي ولامني على السكن في فندق، وطلب مني أن أحضر حوائجي من الفندق وقال: هنا الفندق حتى تغادر. ذهبت مع القاضي لفلاح اسمه أبو عباس ولديه أعداد هائلة من النخيل، وسألناه عن فساتل النخيل، فاعتذر لكثرة ما باع لأهل الرياض.

ذهبنا إلى من قابلتهم بالأمس والتزموا بما أريد من أعداد وأنواع النخيل، بدا عليهم الارتباك حين رأوني ومعني رئيس المحاكم، أجلسونا وقاموا بواجب الضيافة، وبعد التشاور فيما بينهم اعتذروا عن عدم الوفاء، ولكن إكراما لرئيس المحاكم سنؤمن الفساتل من البساتين الأخرى.

أمسك بي أحدهم وقال: لم تقل لنا بالأمس إنك تعرف رئيس المحاكم.

أجبت: ماذا كنتم ستبيعونني ؟



إذا غاب الضمير والخوف من الله وأسيئ فهم الدين انتشرت الممارسات الخاطئة في كل مكان ومجال، وفرغ الدين من معانيه العظيمة.

لا بد من زراعة كل فراغ في المزرعة. لقد أصبحت زراعة القمح مجدية، لا يزال سعر الكيلو ثلاثة ريالات ونصفا.

نقل النخيل من وسط المزرعة إلى إحدى زواياها، وأثناء النقل خسرت مات

الكثير منه، وخسرت في نقل الرمال من النفوذ إلى الأراضي السبخة والصفراء، بعد عامين تغيرت الحال، أصبح سعر الكيلو من القمح بريالين لا تصرف إلا بعد ثلاث أو أربع سنوات، حتى تسليم القمح للصوامع يحتاج إلى انتظار، وانخفض سعره حتى أصبح ريالاً واحداً فقط.

هذه التجربة لقد تعلمت منها أن المملكة ليست بلداً زراعياً وكل قرار لا تتم دراسته من قبل أهل الاختصاص، ودراسة جدواه الاقتصادية بشكل خاص ينتهي بالفشل، النيات الحسنة لا تكفي لنجاح الخطط الكبيرة، خلو البلد من مراكز الجادة يحرمها من اتخاذ القرار الصحيح في معظم الأحيان.

ندرة المياه تجعل من المستحيل قيام اقتصاد قوي يعتمد على الزراعة بطرق تقليدية، لن يروي عطشنا إلا البحر بعد مزيد من الأبحاث.

مستقبلي ليس في الزراعة، بل في القوات الجوية، على أن أتعلم المزيد لأعلم الآخرين.

في الظهران عملت مدرسا طيارا وأسندت إلي مهام أخرى كغيري من المدرسين.

عينت في قسم توحيد المعايير والإجراءات والتقييم مساعدا لزميل من أنشط الضباط ، شرعنا في ترجمة الدليل الذي أصبح مرجعا لهذا القسم على مستوى القوات الجوية.

تطوعت لتدريس الضباط الجدد خاصة قبل مرحلة الطيران.

أفضل وسيلة لفهم المادة هو تدريسها.





نداء في الظلام

رمضان على الأبواب ، لا يسمح بالطيران والطيور صائم ، قانون تعلمناه في الكلية وصار ضروريا ، وأثبتته لنا طبيب الطيران ، تحول الطيران في رمضان إلى طيران ليلي ، يبدأ البرنامج بعد صلاة العشاء ، لأنني وزميلي الذي صاحبني إلى أمريكا نسكن متجاورين ، نأتي للعمل بسيارة واحدة ، أقلعنا في رحلتين مختلفتين وبدأنا في تدريب على الاعتراض الجوي ، سارت الأمور كما خطط لها في أول تمرين للاعتراض ، وفي التمرين الثاني اختفت طائرة زميلي من على شاشة الرادار ، نادى الموجه الأرضي الجالس أمام شاشة الرادار على زميلي ولم يجب تكرر النداء و لا جواب ؛ أعلنت حالة الطوارئ في القاعدة ، وأقلعت طائرة البحث والإنقاذ ، ظلت طائرة تحوم حول المكان ، بحثا عن أي شيء يدل على أن صديقي بخير ، صمت رهيب ، ولا جواب سوى الصحراء يلفها الظلام ، علمت بالحادثة بعد نزولي من الرحلة ، سأكون المكلف بإبلاغ أهله ونقطة الوصل معهم .

زوجة زميلي وحيدة في بيتها لابد من إحضار والديها من الرياض ليكونا إلى جانبها عند إبلاغها بالخبر السيئ الذي تم تأكيده في الصباح المبكر ، بقي الجميع في السرب حتى وقت تأكيد الخبر ؛ جاء أهله وأهلها بطائرة أمنتها القوات الجوية لهذا الغرض ، وكان الجميع الحزن باديا عليهم ، خاصة أن الحادث كان من أول الحوادث من هذا النوع من الطائرات ، سار أهل زميلي وأهل زوجته نحو البيت أتقدمهم لأدلهم عليه ، حالما دخلوا على المسكينة عرفت أن حادثا مؤكدا وقع لرفيق دربها ، وسمعت من بعيد صوتها الحزين ، تفرط قلبي ، وأجهشت بالبكاء ، فعرفت عن قرب يكون فقد الزوجة لزوجها ، الزوجة والأم هما الأكثر تأثرا لفقد الزوج والابن .

تكفل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بشراء بيت للزوجة وطفليها في الرياض ليكونا قريبين من أهلهم ، مما خفف المصاب ، وأعطى معنى آخر للتكافل والتآزر .

هناك طائرات جديدة وحاجة لمدرسين ، فكلفوني بالسفر إلى الجنوب ، للمساهمة في تأسيس سرب جديد ، سافرت عن طريق البر مع زوجتي وطفلي عقد شراء الطائرات مع شركة (نوثروب) تضمن التدريب والصيانة وبناء المرافق والسكن والصالات



الرياضية، التدريب يشمل الطيارين والفنيين، معظم المدربين كانوا متقاعدين من القوات الجوية الأمريكية وبعضهم خدم في فيتنام، أتوا بعائلاتهم ونشأت بينهم وبين طلبتهم صداقات وزيارات متبادلة.

كان ذلك المشروع واحدا من أنجح المشاريع، أحلت من خلاله الأيدي الوطنية محل الأجنبية بكل جدارة.





لابد من صناعة

أعلنت القيادة عن طلب مدرسين لطائرات F5 التي وصلت حديثاً إلى اليمن الشمالي الذي خرج لتوه من حرب مع جزئه الثاني اليمن الجنوبي. كنت أول المتطوعين للذهاب إلى صنعاء: (لابد من صنعا وإن طال السفر) أقلت من الطائف بطيارتي ذات المقعدين. في المقعد الأمامي أحد الطلبة اليمنيين.

"ماذا أحدث عن صنعاء يابس مليحة عاشقاها السل والجرب"

لكن ، لا لم أجد هنالك لا سلاً ولا جرباً، بل أناساً طبيين أنهكتهم الحروب والانقلابات كغيرهم من العرب ، يعشقون الجلوس لساعات يتحدثون ولا يعلمون ، ومثلنا تماماً ينتقدون كل شيء إلا أنفسهم ، يعشقون الحديث عن السياسة وصناعها. لا يزال طيارو ما يسمى الاتحاد السوفياتي سابقاً بطائراتهم القديمة في الجانب الآخر من المطار، أما هذا الجانب الذي نحن فيه، فكل شيء حديث ، المباني والطائرات والمدرسون وأطقم الصيانة .

أهم شيء إقامة علاقات طبية مع الإخوة اليمنيين ، لن تكون هنالك سلاسة في العمل ونجاح إلا بعلاقات جيدة وثقة ، يقال :إنهم لا يحبون السعوديين . مشكلتنا كل حياتنا أخذ ما يقوله الناس حقائق غير قابلة للنقاش ، لدينا داء اسمه (التعميم) مع أننا لم نكلف أنفسنا عناء البحث . طالما أن الثقافة مشافهة فقط، فهذا هو المنتج.

لقد وجدنا أخوه رحبوا بنا ، لاحظ اليمنيون الفارق الكبير بين التدريب الشرقي والغربي ، مدربو السوفيات تكاليف وجودهم قليلة ، لكن إنتاجهم قليل وروحهم المعنوية هابطة ، أما الغربيون فمكلفون للغاية ، لكن بروح معنوية عالية وفائدة لمن يريد أن يستفيد. أقلت وزميلي ومع كل منا طالب يماني ، الرحلة تمرين على الاشتباك الجوي ابتعدنا عن القاعدة بحثاً عن مكان مناسب وأجرينا التمارين المطلوبة ، يؤدي المدرس التمرين مع الشرح ثم يعطي الطالب فرصة تطبيقه . يمتاز أهل اليمن بكرم الضيافة كل اجازة أعود للمملكة ، أجد نفسي محملاً بالهدايا وخاصة من البن والعنب والزبيب ، لكن علي أيضاً إحضار ما أوصى به طلباتي من أجهزه تعد رخيصة مقارنة بأسعارها في اليمن، الحياة طريق ذو اتجاهين ، عليك أن تأخذ وتعطي وإلا اختل ناموس الحياة. المهمة توشك على نهايتها ، مضت ستة أشهر ، هي المدة المعطاة لنا ، جاء مدربان من الظهران بدلاً منا ، بقينا معهما ثلاثة أسابيع أطلعناهما على كل ما يحتاجانه لمواصلة المسيرة .

هاتف قائد القوات الجوية اليمني في يوم عودتنا لنمرّ عليه ونودعه، حضر ومعه مفاجأة ، كان بصحبة رئيس الجمهورية كان الرئيس في جولة تفقدية وعلم بسفرنا من قائد القوات وسمع نداء الكثير علينا ، فقرر المرور على خط الطيران والتحدث معنا ،



قال لا أريدكما أن تذهبا ، أريدكما أن تبقىا ستة أشهر أخرى ، لكننا أقنعناه بأن من جاء لتكملة المهمة يعتبر من أفضل المدرسين وسيواصلان المهمة كأحسن ما يكون ، نظر رئيس الجمهورية إلى قائد القوات وأمر لكل منادي وسام الواجب اليمني ودعنا قائد القوات وشكرناه وهمست في أذنه : سوف أراك قريباً إن شاء الله وزيراً للدفاع ، وهكذا كان بعد سنوات .

بعد ستة أشهر جاءتنا دعوة من وزارة الدفاع اليمنية لحضور حفل تخرج طلبيتنا وإنهاء دورة الـ (ف٥) وسافرنا إلى صنعاء ، قرر أحد المدرسين السعوديين أن يقوم بالعرض الجوي المنفرد ويشمل الحركات البهلوانية . صنعاء ترتفع عن البحر بأكثر من ٧٠٠٠ قدم ، مما يعني نقص قوة المحركات وكل حركة لا بد أن تنفذ بعناية. رأيت زميلي في الجو يرتفع ويهبط ، فطلبت منه بعد نزوله تقليل الحركات الخطرة وأخذ الحيلة والحذر. دخلت البيت فوجدت الحزن مخيم على الجميع ، وزميلي الذي أتى معي من المملكة يجهش بالبكاء ، سألته : ما الخبر ؟ فلم يجب، توجهت بالسؤال إلى زميل آخر ، أخبرني بما حصل ، وقع ماكنت أخشاه واصطدمت طائرة زميلنا بالأرض في واحدة من الحركات التي تتقلب بها الطائرة ، وكأنها ريشة في مهب الريح ، كان رحمه الله واحداً من أفضل الطيارين أداء وأحسنهم عشرة وعصامية .





الموجة الأولى

طرت مع أحد الطلبة في أول يوم من عام ١٤٠٠ وقبل نهاية الرحلة سمعت النداء الذي لا يقال إلا في أمر جلل: "على جميع الطائرات العودة حالاً إلى القاعدة" تأويلات كثيرة مرت بخاطري، لكن أنى لي أن أعرف السبب. استدعي الجميع إلى غرفة المحاضرات وأبلغوا أن المسجد الحرام بمكة اقتحم وأن الوضع لا يزال غامضاً، وتقتضي التعليمات بالبقاء في القاعدة والاستعداد لأي تطورات في الموقف، اقتحمه رجل مغامر نصف متعلم يطمح للقيادة ولم يجد سوى موجة الدين ليركبها، وقد اتبعه الكثر. ألم يقل المثل: (العقل كالمظلة لا يعمل إلا إذا كان إذا مفتوحاً) للأسف تبعته عقول كثيرة فقدت التفكير المرن والتحليل العاقل المتأنى. سيظل عالمنا الإسلامي بيئة مناسبة لبروز ظواهر كثيرة تتخذ من الدين سلاحاً ووسيلة إقناع، والغوص في التراث بحثاً عن دلائل مقنعة لما يخططون له، وسيستمر المتعطشون للزعامة جاهزين لبذل كل ما يستطيعون لكسب الأتباع وخوض المغامرات.





الاستثمار في العقول

الدورات في الولايات المتحدة الامريكية كثيرة ، والاستثمار في العنصر البشري على أشده ، لا بد من تدريب نخبة من الضباط للمراكز القيادية . دورة ضباط الأسراب من أهمها . كنت من بين الضباط المرشحين لهذه الدورة ، الطلبة من دول كثيرة ، لكن أكثرهم من الولايات المتحدة من الدول العربية يوجد من مصر والأردن والمغرب والكويت وهناك طلبة من أوروبا . يوزعون الطلبة الأجانب على الفصول فلا يوجد طالبان أجنيبيان في فصل واحد . كما يوزعون الضباط الأجانب بحسب تخصصاتهم على الفصول ، في كل فصل توجد على الأقل طالبة واحدة ، هذا التوزيع لإثراء النقاش والاستفادة من الخبرات والتخصص ، يركزون على ثلاثة أمور للنجاح يختصرونها بحرف C مكرراً ثلاث مرات (Communication Coordination Cooperation) وتعني الاتصال والتنسيق والتعاون لهذا الغرض بحاضر أستاذ متمكن ، ويضرب الأمثال على ما يحاول توضيحه : يقول عن الاتصال ومشاكله : إن أمر المشكلات من سوء الفهم فأنت تفهم شيئاً وأنا أفهم شيئاً آخر وكلانا يعتقد بأنه فهم الآخر . يدرس في الدورة ضباط شباب يعملون اثنتي عشرة ساعة يومياً دون كلل ، لكنهم يستبدلون غيرهم بعد ثلاث سنوات على الأكثر ، الدراسة تبدأ من الثامنة وتستمر حتى الخامسة مساءً يشاركون الطلبة مختلف أنواع الرياضة التي تمارس يومياً ، ولها أهداف كثيرة . فإلى جانب بناء الأجسام ومحاربة الأمراض ، يستفيدون منها لتأكيد أهمية العمل الجماعي وروح الفريق وتنمية روح القيادة . في هذه الدورة يزرعون عادات تبقى مع الضابط طوال حياته ، يحددون لكل يوم موضوعاً أو مواضيع للنقاش وصفحات كثيرة للقراءة ، من لا يقرأ لا يستطيع أن يشارك بشكل فاعل ، وأيضاً التركيز على النقد البناء يهتمون أكثر بإقامة المناسبات التي تقربهم كثيراً وتزيل الحواجز بين القائد والمقود كأنهم يقولون : هكذا يجب أن تكون الوحدة المقاتلة . مساكين من يقضون جل أوقاتهم في فصول يسكنها السأم والخوف والكسل فلا عقول تتلاقح ولا أجسام تتحرك ولا سواعد تحقق الإنجازات سر الحضارة في العنصر البشري الذي أطلق لخياله العنان وعمل بكل جد وإتقان . بيننا وبينهم اختلافات كثيرة ولكن أليس الاختلاف سنة هذا الكون وسر بقائه ؟!



القيادة

لن تبقى أيها النقيب مدرساً فقط ، أنت تكبر وتكبر معك الرتبة وتلمع على كتفيك ثلاث نجوم تصعد بك نحو الفضاء إن تواضعت لها تهبط بك إلى الحضيض لو تعاليت بها كان لكل نجاح ضريبة عليك أن تغادر بيتك وزملاءك في الشرقية ستذهب إلى الطائف ، فهناك سرب بحاجة إلى قائد عينت في البداية ضابطاً لعمليات السرب ، سرب مقاتل ، بعد اسبوع من وصولي استدعاني قائد ابيري وفوض إلي جميع صلاحياته ، قال لي : من الآن أنت قائد السرب ، أما أنا فمنقول إلى القيادة قريباً عليك أن تتصوف دون الرجوع إلي ، فأنت أهل للثقة كلما كانت كلماتك كبيرة وتقديراً من قائد لم أمض معه سوى أسبوع لكنها كانت درساً تعلمته وظللت أعهده حتى أتذكره كلما تذكرت ذلك القائد بناء وحده مقاتلة ناجحة ، مثل بناء مؤسسة رابحة بحاجة إلى جهد مضاعف من القائد عليه أولاً أن يكون قريباً من ضباطه وأفراده وأن يكون قدوة لهم ، حاولت أن أتذكر ما تعلمته في دورة مدرسة ضباط الأسراب في الولايات المتحدة للضباط والأفراد قدرات ومواهب لن تبرز إلا في بيئة مشجعة على العمل في جو تسوده المحبة وتقدير المنتجين . أسوأ شيء أن يكون للقائد جماعته ، وهذا ما حاول بعضهم لكنني استدركت سريعاً أنني قائد السرب كله وليس بعضه ، حرصت أن أوزع المهام بالتساوي ، ليس كل ضابط قديم في الرتبة يصلح للقيادة ، وليس كل طيار جيداً يصلح قائداً . حرصت على إجراء تغييرات ، لكنني اصطدمت بالواقع ، فالممتاز لن يفرط فيه أحد ، والسيء لا يريده أحد وكلاهما يسبقه ذكره . حرصت على تخليص السرب من كل عوامل الضعف في بعض مراحل الطيران .

التمرين القادم والمهم في دولة عمان سيكون السري ممثلاً للمملكة في واحد من تمارين مجلس التعاون ، خرجت من السرب قبيل المغرب لأجد زوجتي في انتظاري لأوصلها إلى مستشفى الهدا . هي على وشك الولادة ، وأنا على وشك السفر ، لكنه الواجب وقيادة السرب لا يمكن التخلي عنها في مثل هذه الظروف . تركتها وحيدة في المستشفى ، وعدت لأخذ قسطاً من الراحة قبل موعد الإقلاع ، هنالك أوامر صارمة في الطيران لا بد من إتباعها لتجنب الحوادث والإخفاقات علي أن أنام ثماني ساعات متواصلة ، أخبروني بعد وصولي إلى البيت أنني رزقت ببنت جميلة ووالدتها بخير وسميتها ((دانة)) وتركت زوجتي وحيدة وطرقت إلى عمان . في الصباح كانت والدتها إلى جانبها دون تخطيط ، لكنها العناية الإلهية تتابعنا في أكثر من مكان ، كان والدها ووالدتها في إجازة في مصر ولم يجدا حجرا إلا عن طريق جدة ، عندها قرؤا المرور على الطائف ليجدا المفاجأة ، ابنتهما وحيدة في المستشفى ، بقيت والدتها بجانبها حتى عودتي من المهمة . بقي السرب في عمان أسبوعين ، كان التمرين خلالها من



أنجح التمارين على مستوى دول مجلس التعاون. انتهت المهمة وعادت الطائرات إلى الطائف سالمة وعدت ووجدت بانتظاري زوجة في كامل عافيتها وبين يديها دانة الجميلة.





هل تظن بيتنا فندقاً

ركض الابن نايف إلى أمه ومعه صندوق صغير الحجم بحجم يده الصغيرة ، كان بداخلها عشرون جنيها ذهباً سألته : أين وجدت الصندوق ؟ أشار الطفل إلى مخبأ في غرفة الملابس وجد فيه الجنيهاات لا بد أنها للساكن قبلنا . ذهبت إلى المسؤول عن السكن وسألته إن كان فقد شيئاً في بيته السابق ، لكنه أجاب بالنفي ، فطلبت منه أن يتأكد من زوجته ، جاء الجواب بعد يومين ليبلغني بأنه فقد صندوقاً مليئاً بالجنيهاات وردت الأمانات إلى أهلها لم يكن الناس قد اعتادوا سكن الفندق بعد، لذا كان البيت في الطائف ممراً لكثير من الأقارب والأصدقاء الذين يقضون بعض الأيام في فصل الصيف ، براءة الأطفال تخرج أحياناً . وجه الصغير إلى الضيف سؤالاً محرجاً هل تظن بيتنا فندقاً ؟ لكن الضيف كان لطيفاً واثقاً من ترحيبنا به ولم يأبه لملاحظة الطفل بل داعبه بقوله : لا لست أعتقد بأنه فندق لكن يأتي إليه رغم ملاحظتك الوجيه.

لم تمر سنوات الطائف على الزوجة في البيت كربة بيت فقط بل واصلت دراستها الجامعية انتساباً تذهب إلى الرياض مقر الجامعة أكثر من مرة في السنة ، بعضها يمتد إلى شهراً كاملاً أصعبها يوم هاجمت الحصبة الابن الكبير وكان في السنة الأولى الابتدائية ومرض مرضاً شديداً لم يعرف سببه في البداية ، أبقى المرض سرّاً ولم أبلغ أمه المشغولة بالدراسة والاختبارات ، لتكتشف السر فيما بعد، من كثرة سعال الطفل وعدم قدرته على الكلام أثناء حديثها معه على الهاتف لم تكتف بتخرجها من الجامعة بل حصلت على وظيفه معلمة لغة انجليزية في المرحلة المتوسطة.

مع الوظيفة لا بد من الخادمة لا بأس الإجازة الصيفية قادمة فلماذا لا نجرب الشرق ونحضر معنا خادمة نختارها بأنفسنا . في السفر إلى الصين الوطنية (تايوان) وجدنا الضيافة الحق من زميل لي تعرفت عليه قبل سنوات . مررنا بعدها على (هونغ كونغ) لكن شتان بينها وبين (تايوان) فلا صديق نعرفه . ثم وصلنا محطتنا قبل الأخيرة (سانغافورة) أي معجزة صنعت هذه الجزيرة ؟ لوحة فنية أبدع الخالق صنعها ، صنعت معجزتها عوامل من أهمها : اهتمام بالغ بالتعليم كمّاً ونوعاً ومحاربه لا هوادة فيها للفساد خاصة المالي بدءاً بالوزراء ،تنظيف الدرج يبدأ من الأعلى إلى الأسفل ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، (أهم عوامل نجاح المؤسسات حسن اختيار قادتها)، التركيز على تنمية البلد اقتصادياً واستقطاب الاستثمارات الأجنبية ،وعلاقات متميزة مع الأقوياء أصحاب القرار في هذا العالم ،واهتمام بالغ بالبيئة .



ليسوا ملائكة

منطقة الطائف قريبة من البحر الأحمر مما حمل الكثير من المستشارين الغربيين على تعلم رياضة الغوص في البحر الأحمر المرجانية والنباتات وأنواع السمك الشيء الكثير ، كانوا يذهبون في كل نهاية أسبوع ومعهم السيارات الكبيرة بالدفع الرباعي ولا يأتون إلا يوم الجمعة مساء . دفعني الفضول لأعرف ماذا يفعلون في البحر لدرجة أنهم لم يتخلفوا عن الذهاب ولو مرة واحدة ، أخبرتهم اني سأذهب معهم ومعني عدد من الضباط للاستفادة بما لديهم من وسائل الترفيه استمتعنا جميعا بمراى البحر لكن ساءني عبثهم بالبيئة دون إحساس . في صباح السبت استدعيت من كان معي بالأمس من المستشارين وأخبرتهم أن شواطئنا نظيفة وبيئتنا تستحق أفضل من هذه المعاملة وذكرت لهم كيف كان زملاؤهم من كبار السن ومن نفس البلد يحافظون على البيئة في الظهران ، كيف كانوا ينظفون الشاطئ حتى ولو كان من فعل غيرهم ، قدم رئيسهم أسفه ووعد بعدم تكرارها.

اشتكى أحد الاسراب من سوء ألفاظ أحد المستشارين الذين وصلوا حديثاً ، وأنهم يرغبون في نقله من السرب ،استدعيت ذلك المستشار ووجدت لديه تجارب وساعات طيران كثيرة ولديه حماسة للتدريب ، لكنه يجهل ثقافة البلد الذي وصل إليه حديثاً استبدلته بمدرّب آخر وأعطيته التعليمات ليصبح هذا المستشار واحداً من أفضل من مر على السرب علماً وخبرة.





طلائع الصحوة

وصل إلى السرب جيل مختلف عن الضباط الموجودين ، أدهم تخرج للتو من الولايات المتحدة ، كان قوي الإيمان والبنية لم يستطع التأقلم مع الضباط وخاصة المستشارين الأجانب كان واحداً من أفضل الطيارين ، لكنه صرف جل وقته لما تعلم من العبادات وأعطى قليلاً للعبادة التي من أجلها دخل القوات المسلحة اشتكى أحد المستشارين من قلة اهتمامه وعدم تجاوبه حاورته مراراً وأقنعه بالتسامح وبعد النظر والتقليل من مظاهر التدين المبالغ فيه ، كان يخرج في كل مرة بوعده للتغيير لكن حماسه الشديد لما تعلم والبرمجة المبكرة جعلاً التغيير مستحيلاً الشخص الثاني كان عصامياً ومجتهداً لكنه كان سريع الغضب إلى حد القطيعة مع من يختلف معه في الرأي ، استدعيته وناقشته وقلت له أنت تسيء إلى نفسك وإلى الدين بهذه التصرفات ، قال الضابط : أعلم ذلك لكنها طبيعتي الحادة

أكد لي الضابط أنه سيبذل جهده للتغيير لكنه لم يتغير وكيف يتغير من اجتهده في برمجته على مدى السنين كان شباب الصحوة من خيرة الشباب وكان من الممكن أن يقفروا بالوطن إلى مصاف الدول المتقدمة لو اتجهوا للمستقبل بعلمه بدلاً من الركون إلى الماضي الذي لم يحسنوا الإفادة من جوانبه المضيئة ، لو اتجهوا للبناء مرفقاً بالدعاء بدلاً من الدعاء فقط لو ركزوا على ما في الدين من حب وتسامح وتعاون ، في القرآن الكريم وسير الرسول ما يعزز قيم الحب والتسامح ، لكن قادة الصحوة لهم برامجهم الخاصة بهم ، وأسوأ ما ابتليت به الأمة أنصاف المتعلمين الذين ظنوا أنهم يملكون الحقيقة كاملة والويل لمن يخالفهم .





الاتجاه شمالاً

أتيت من الشرق إلى الغرب. أمضيت خمسة سنوات من أجمل سنوات عمرك بالمنطقة الغربية ، فلماذا لا توجد بوصلة نحو الشمال ؟ هناك طائرات ينتهي عمرها وتحال إلى التقاعد ويبقى الإنسان .

أنت عسكري وليس لك الخيار ، بل من أهم أسس العسكرية أن تكون جاهزاً لتلبية النداء في أي وقت، ليس مقاتلاً من يرتدي اللباس العسكري ثم يبحث عن الراحة ، أن تدخل هذا المجال هو أن تنذر نفسك لما هو أهم من النفس والأهل والمال، لدى رجال القوات المسلحة مهمة لن يقوم بها غيرهم .

فوق جبال السروات الممتدة من جنوب الجزيرة العربية حتى شمالها طار السرب وقائده في المقدمة يتبعه البقية، كل تشكيل يتكون من أربعة طائرات، متوجهاً نحو الشمال محطتهم القادمة تبوك .

شعور غريب أن تمتطي طائرة مقاتلة في الصباح الباكر وأشعة الشمس لم تلامس الأرض بعد ، والأجمل منه أن تكون على ارتفاع ثلاثين ألف قدم ، خلف مقود الطائرة المقاتلة تستمتع برؤية الفضاء الواسع ، وتحس بأنك قريب من خالقه ، ويزيد وجود السحب الجو جمالاً ، السحب المبشرة بيوم ممطر جميل وموسم ربيعي واعد .

قبل قليل جاوزنا المدينة التي تهفو إليها أفئدة المسلمين (مكة المكرمة) وها هي المدينة المنورة بمسجدها النبوي الشريف ومنازاته العالية ، وطن عظيم بما يحويه من مقدسات وخيرات ، لكنه أحوج ما يكون إلى مخلصين من الرجال والنساء ليحجزوا له مكانة بين الأمم .

نزلنا في القاعدة فوجدنا في استقبالنا قائد الطائرة وأركانهم مرحبين ومهنيين بسلامة الوصول ، في القاعدة تبدأ معركة جديدة من أجل تأمين السكن للضباط والفنيين وتعديل الورش لتناسب الطائرات الجديدة ، ومن سبق اجتهد وبنى ليحجزها من جاء بعدهم مهياً لهم، علينا أن نبنى كما بنى من قبلنا .



أفضل وسيلة لتذليل العقبات هي إقامة علاقة جيدة مع المسؤولين ، لن يجني المرء شيئاً من الصدام وكثرة الشكوى، أكبر خاسر من يضيع وقته في شجار مع الآخرين، تذكرت قول ابراهيم لينكولن : (لا تتشاجر أبداً فليس هناك إنسان قرر أن يصنع من نفسه شيئاً، يستطيع أن يضيع وقتاً في مشاحنات شخصية والأفضل لك أن تتخلى عن طريقك لكلب، بدلاً من أن يعقرك).

مدينة تبوك والقاعدة على الأخص هي الأفضل لتربية الأبناء والعناية بالصحة ، في القاعدة صالة رياضية حسنة التجهيز مماثلة لما في غيرها من القواعد، مكونة من ثلاثة أدوار ومسبح بمقاييس أولمبية ، وبها أفضل المدربين ،أحدهم من كوريا ودرّبني أنا وطفلي رياضة (التايكواندو) مبتدئين بالحزام الأبيض ومتدرجين حتى الحزام البني بدرجته الثلاث. ولم أنس أن أعلمهم السباحة .

ولكن الأبناء بحاجة إلى أكثر من رياضة ،الرياضة تبني الجسم وتزيد من ثقة الطفل بنفسه وتعوده على العمل الجماعي وتنمي روح القيادة فيه ،ولكن ماذا عن جوانب الثقافة والفكر ؟ ليس لهذا حل سوى تعويدهم على حبّ القراءة .

علماء التربية يقولون أن الطفل الناجح في دراسته بمختلف مراحلها وخاصة الجامعية ،هو القارئ وليس الذكي ،ويضيفون أن الطفل يتعلم حب القراءة بين السنة الأولى والثانية من عمره ،يبدأ بمشاهدة الصور وربطها ببعض ، ثم قراءة قصص الأطفال عليه قبل النوم، بعدها يبدأ بتحديد ميوله في القراءة ويصبح قارئاً جاداً ناقداً لما يقرأ ، وفي المراحل الأخيرة قد يصبح كاتباً .

بدأت أنا وأهمهم نأخذهم إلى المكتبات بدل دكاكين الحلوى، نترك لهم حرية شراء ما يشاؤون ونذكرهم بشراء أقلام ملونة وكراسات رسم، أوجدنا في البيت موسوعة مليئة بالمعلومات والصور مع حثهم على استخدامها ،المهم أن يقرأوا ويبتعدوا عن التلفاز ما أمكن ، يقول علماء التربية : (لن تجني من مشاهدة قصة في السينما أو التلفاز نفس الفائدة التي تجنيها عند قراءتها في كتاب).

وضعت برنامجاً لطيري السرب ،عليهم الذهاب إلى الصالة الرياضية ثلاث مرات في الأسبوع ،الإنسان كسول بطبعه ويحتاج إلى من يساعده للتخلص من كسله ،يشعر الرياضي بالسعادة والنشوة نتيجة إطلاق الجسم لمادة (الأندروفين) التي تمنع إشارات الألم من الوصول إلى المخ ،ويقول العلم الحديث أنه في أحيان كثيرة يتفوق (الأندروفين)في تسكين الألم على مادة (المورفين) المخدرة .

وقفت مرة أمام عمليات السرب، فرأيت طياراً عليه علامات الخمول، سألته متى آخر مرة مارست فيها الرياضة ؟ فرد الطيار: قبل ثلاث أسابيع ، طلبت منه أن يذهب يومياً إلى صالة الرياضة لمدة أسبوع ويخبرني بالفرق ،داوم الطيار ثم جاء يشكرني وهو بشكل ونفسية مختلفة ، كنت أعرف أنه يعاني من مشكلة ولكنني لا أريد أن أناقشها إلا اذا بدأها، علي أن أبدأ بأسهل الحلول وأنفعها، لن تحل المشاكل بتذكرها وبتحمل همها، ألم يقل المثل: (يومان لا تحمل همهما ، يوم مضى لا يمكن استرجاعه ،ويوم قادم في علم الغيب لا يعلم ما به). وآخر قال: (كم حملت هموم وألم أمور لم تقع لي).



أسوء ما يصيب المؤسسات سواء كانت عسكرية أم مدنية ،هو تدني الروح المعنوية وسريان الروح الانهزامية بين أفرادها، والتي من أهم أسبابها سوء القيادة ،والفراغ ، وتدني الإنتاجية ، ووجود قادة كسالى ،تعرف المحيطين من كثرة شكواهم وتذمرهم وقلة إنتاجهم، كنت أحذر منهم دائماً وأقول : هؤلاء أشد تأثيراً علينا من العدو لأنهم بيننا ونصدق ما يقولون بسرعة .

لدى الغربيين هوايات ومتع كثيرة فيها روح المغامرة ،لديهم نادٍ صغير للدراجات عليه مدرب بريطاني ذهب مع ذهاب الطائرات القديمة ، قررت إحياءه ، فصارت الدراجات الهوائية وسيلة تنقل لهذا الفريق في القاعدة، قرر بعض أفراد النادي الذهاب في نهاية الأسبوع إلى ضبا الشاطئ الجميل على البحر الأحمر، على الدراجات ،المسافة مئة وثمانين كيلومتراً ،نتوقف كل خمسة عشر كيلو متراً لشرب الماء والراحة قليلاً كانت مغامرة بسيطة لكنها مهمة لحفز الهمم.

استمر النادي في القاعدة ولكن لا بد من وجود منغصات ،من أهمها عدم تعود الناس على مرأى ضابط يركب دراجة، جاء أحد الضباط ممتعضاً وغاضباً ومتأخراً عن إيجاز الصباح، أوقفه الجندي على البوابة باجتهاد منه دون أوامر يستند إليها، قال له: ممنوع دخول الدراجات الهوائية ،حاول صاحب الدراجة إقناعه فقال: إذا كانت السيارة تدخل فما المانع من الدراجة؟

في البحر يمارس الأجانب رياضة الغوص ويستمتعون بها ، ما المانع من تعلمها ؟ ألم تقل أم زميلة (من له عيون ورأس فليعمل ما يعملها الناس).

لم تقل عيون فقط بل ربطته بالرأس مصدر الفكر والتحليل ، لم لا نتعلم في بيوتنا ومدارسنا حب الصحراء والبحر وعشق المغامرات؟ لم لا نستمتع مثل غيرنا بمرأى النجوم في الليل ؟ وشروق الشمس ومنظر الغروب؟ لم لا نحب الطبيعة ونعلم أبنائنا ؟ ونحثهم على احترام البيئة وعدم العبث بها وترك ما بها من طير وحيوان يعيش ويتكاثر آمناً ؟ أخفقت البيوت والمدارس والمساجد والإعلام في إيصال هذه الرسالة المهمة .

ذهبت إلى قائد القاعدة ومعني مشروع لنادٍ ثانٍ هو نادي الغوص، أخذت معي دراسة بسيطة فيها التكاليف وطريقة التنفيذ، رحب بي وأجلسني وقرأ الدراسة فوراً ، التكاليف خمسة عشر ألف ريال قيمة المعدات لستة طلبة، وألفا لإعادة تأهيل المدرس الأجنبي، وافق على كل شيء وشدد على عنصر السلامة .

بعد شهر كان خمسة ضباط ورقيب فني يعمل في الإطفاء منتظمين بالدورة التي هي من شقين نصفها في الفصل والآخر في المسبح والبحر ،بعد مرور شهر كان قائد القاعدة يحضر بسيطاً بمناسبة تخرجنا مع شادة غوص معترف بها من نادي (بادي) الأمريكي.

لكن كل مشروع ناجح يختنق إذ لم يجد من يتبناه ،ومالم تكن هناك جهة رسمية ترعاه وتحافظ عليه فحتمًا سيتوقف بعد رحيل مؤسسة ،وهذا ما حصل لنادي الغوص .



مر علي طبيب الطيران من الجنسية النروجية يطلب إذن بالذهاب إلى شواطئ ضبا مع ابنه في المرحلة الثانوية، يقول الطبيب: لقد ساعدت ابني على اختيار موضوع بحثه (الأسماك في البحر الأحمر) ننجزه في العطلة الصيفية، استعد الطبيب وابنه للبحث جيداً مرا على مدينة جدة واشترى ما يلزمهما من معلومات عن الأسماك في البحر الأحمر ، واشترى آلة تصوير تعمل داخل الماء، أجرى

الطالب بحثاً نظرياً وتطبيقياً وعمل على إنجاز مدة شهرين ، بعد شهر من مغادرة الطالب إلى بلدته أخبرني والده بحصوله على المركز الأول .

لا غرابة أن يحصل على المركز الأول بعد هذا الجهد، ما الفوائد التي جناها هذا الطالب من عطلته الصيفية ؟ وكيف سيكون تأثيرها في دراسته الجامعية وحياته لاحقاً؟

الإجازة الصيفية ليست للكسل وكثرة النوم والتسكع بين المحطات الفضائية، وخلف الجدران بصحبة الفراغ، لكنها يمكن أن تكون بحثاً ميدانياً عن مكان يقضي فيه الطلبة الإجازة بصرف النظر عن قربه وبعده ، المهم أن يمكس بورقة وقلم وآلة تصوير ، ثم يشحذ فكره وقدراته في الحاسب الألي لإخراجه بشكل مقبول، أهم عناصر نجاح البحث العلمي عشق المادة والمثابرة والعمل لساعات طويلة .

لم يصل الغرب لما وصلوا إليه بالتمني ولا بالأمانى ولكن بالعمل الدؤوب والاهتمام بالتربية والتركيز على الكيف وليس الكم ، وأن يكون للعب نصيب من أوقات ومناهج مدارسنا .





عودة إلى مقاعد الدراسة

كنت أريد دورة القيادة والأركان في الولايات المتحدة لكنها أتت في المملكة في بلدة العيينة قرب الرياض .

هي دورة أركان مشتركة بين القوات الأربعة : البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوي . وهذه ميزة كبيرة ليعرف قادة المستقبل زملائهم ، تقول الإدارة الحديثة: إذا أردت أن تعمل مختلف الأقسام كفريق ، فحطم الجدران التي تفصل بعضهم عن بعض ، ليعرف كل مسؤول ما يحتاجه الآخر وما يمكن أن يقدمه للمجموعة .

ميزتها الثانية فرصة الحصول على درجة الماجستير في العلوم العسكرية.

أهم عوامل نجاحها حسن اختيار المدرسين المحبين للقراءة ولديهم مرونة وسعة اطلاع.

استعنت كعادتي بالرياضة للسيطرة على الضغوط وكثرة الواجبات . أكثر الطلبة لا يمارسون الرياضة بحجة عدم وجود وقت ، قلت لأحدهم :

أنت بحاجة للرياضة ، وزنك ومظهرك يقولان هذا .

ليس لدي وقت حتى للمذاكرة

الوقت موجود لكن ما هي أولوياتك ؟ هل اشتكيت يوماً من عدم وجود وقت للأكل أو الصلاة أو النوم ؟ الوقت موجود لكن لن تجده لأي نشاط إلا إذا وضعته ضمن أولوياتك .

لقد قال ستيفن كوفي في كتابه (العادات السبع) تحت عنوان اشحذ المنشار أي جدد النشاط ، ثم أورد قصة المسكين الذي ظل لساعات يحاول قطع شجرة والعرق يتصبب منه دون تقدم يذكر ، فمر عليه شخص وقال : اشحذ المنشار يعمل بشكل أفضل . لكنه رد : إنني مستعجل و ليس لدي وقت . لو أخذ هذا المسكين راحة يجدد بها نشاطه ويشحذ منشاره لأنهي المهمة بسرعة .

رسالة الماجستير لا بد من تسليمها قبل موعد التخرج بشهرين على الأقل ، الرسالة كانت عن المواصلات في دول مجلس التعاون وأثرها في دعم المجهود العسكري.

يصرف للمبتعث ما يعادل 75 في المئة من الراتب زيادة عن راتبه الأساسي مما أوجد لدي وفرة مالية لا أدري كيف أستثمرها .

تذكرت تلك القاعدة الذهبية تقول: لا تضع بيضك في سلة واحدة .



الأسهم في بداية صعودها ،لذا قررت أن أشتري بنصف المبلغ أسهمًا في شركة كبيرة ما لبث أن تضاعف سعر السهم عشر مرات ، والنصف الثاني اشتريت به مع قريب لي أغنام ،كان سعر كيس الشعير خمسة ريالات ،بعد الصفقة ارتفع كيس الشعير إلى عشرين ريالاً فملّ الناس مما عندهم ورخصت قيمتها .تمنيت لو اشتريت شعيرًا بدل الغنم ، كل قرار لا يدرس بعناية يكون له ضحايا ومنفعون.





بين أمي وأخيها

قربي من الرياض مكنني من قضاء وقت أطول مع والدتي التي تسكن في بلدة لا تبعد عن الرياض سوى ساعتين. لاحظت في مشيتها بطيئة وكأن قيذاً يكبل قدميها ، واختفت الابتسامة أمام خلف قناع التعب والحزن ، أصبحت وحيدة بعد وفاة زوجها الذي قضت معه ثلاثين عامًا، صارت تقضي النهار في بيتها تهتم بغنمها وأشجار العنب والتين والزيتون والنخيل ، وفي المساء تذهب لتنام عند أخيها وزوجته ' يرحب بها أخوها ويستعيدان الذكريات الجميلة والمؤلمة ، عاشا معًا حياة كفاح مع اليتيم والفقر والمرض .

قالت أمي لأخيها : ما أجمل الحياة مع العمل والبذل للآخرين ! من جربه سيرى السعادة تشع من عينية قبل عيون المساكين ، بالأمس جاءت امرأة ضاقت بها الحياة ، ولدها لا ينفع لشيء ترك الدراسة وابتلى بالمصائب التي جرها على نفسه وغيره ، جاءت تطلب سلفة ، أعطيتها ما طلبت وزدت عليها ما قدرني الله عليه وقلت : هذه صدقة .

جذوة الحب داخلنا بحاجة لمن يشعلها ، كثير من المصائب من صنع أنفسنا ، ومن سوء تربيتنا لأبنائنا ، بالأمس زرت سيدة تزوجت ابنتها قبل ست سنوات ، وقد تركها زوجها بعد أن حن لحياته السابقة وصعبت عليه ضريبة الزواج ، تركها عند أمها مع طفل صغير ، واليوم لم أكد أعرف المسكينة من الهم والظلم وطول الانتظار ، أهملت نفسها ولجأت إلى الصلاة والدعاء .

أصعب شيء يواجه الإنسان ظلم من يحب وهجره ، والسهر مع النجوم والدموع بانتظاره .

سألت أمها : هل ذهبت للقضاء؟

أجابت: نعم لكنها كانت أعومًا ، عام لإحضاره للمحكمة ، وعامان للجلسات، في النهاية ماطل في تنفيذ الحكم بحجج واهية. أسوأ المجتمعات مجتمع يتلذذ بقهر أفرادها، خاصة النساء بتركهن على أرصفة الإهمال، الإنسان أعظم مؤثر في مسيرة الحضارة ، ويقاس تقدم الأمم بمدى إعطاء الناس حقوقهم ، وصون حرياتهم ، ومدى إسهام النساء في البناء .

قال خالي لأمي : جميل أن تساعد الآخرين ، لكنك تذهبين مع عامل المزرعة وهو ليس محرماً لك .

سأتركه من اليوم يا أخي إن كنت مستعداً لإيصالي .

لكنك تركبين معه في المقعد الأمامي وألسنة الناس لا ترحم .



لم أعر المقعد ولا ألسنة الناس أدنى اهتمام ، أهم ما عندي رضا الله لا رضا الناس ، أكثر الناس كلاماً أقلهم إنتاجاً ونفعاً ، هل تصدق أن رجلاً كان معتكفاً في المسجد في العشر الأواخر من رمضان قام بضرب زوجته حال خروجه لخلاف بسيط في صباح العيد؟ يذهب كل يوم للمسجد ولا يدرك أن الدين المعاملة .

هل تتقين بهذا العامل الذي صار سائقاً أيضاً ؟

كنت أثق في البداية ، علامات التقى باديه في وجهه .

لاحظت عليه الارتباك كلما راجعت معه مبالغ البيع والشراء ، اختبرته فلم ينجح في الاختبار ، عددت الغنم في المزرعة فوجدتها ناقصة ، سألته عن الباقي فغضب مني وقال : ماذا تقصدين ؟ صرت أقوم بكل شيء بنفسي : البيع والشراء وحتى ملء السيارة بالوقود ، لا ألومه بل ألوم نفسي على الثقة المفرطة المال بحاجة إلى ضوابط ومراقبة وإلا ضاع .

مصيبتنا الثقة الزائدة في الناس ، وخاصة من يتخذ الدين غطاء لتصرفاته .

قبل أسبوع ذهبت مع ابن عمك إلى الرياض مع أنه ليس محرماً لك.

مستعدة ألا أذهب معه إن كنت مستعداً لإيصالي إلى ابنتي ولمراجعات المستشفى كلما احتجت ، المرأة يا أخي ليست سلعة يلعب بها الآخرون إلا إذا رغبت هي ، وغاب الخوف من الله ، عندها لن تستطيع أي قوة منعها مما تريد ، المرأة يا أخي نتاج ثقافة المجتمع وعاداته ، ألا ترى أنها تختلف من بيت لبيت ومن مجتمع لمجتمع ومن عصر لعصر ؟ أنظر يا أخي إلى الجوانب المضيئة من الحياة ، للظلام فوائده أيضاً ، دعك من المتشائمين فهم أتعس الناس وأقلهم إنتاجاً ، يسعون جاهدين لإتعاس الآخرين ، لو أصلح كل منا نفسه ومن عنده لصلح المجتمع .

تذكرت وأنا أستعيد ما حدثتني به والدتي عمّا دار بينها وبين أخيها ، المثل الصيني الذي يقول (خير للمرء أن يضيء شمعة بدلاً من أن يلعن الظلام).





عودة إلى الشمال

انتهت دورة القيادة والأركان نهاية عام 1987 وكانت النتيجة ممتازة وعدت مع أسرتي إلى تبوك .

تغير السرب بتغير القيادة فتغير الكثير توقفت الرياضة ، وقلّت المناسبات الاجتماعية ، تفرق الشباب إلى مجموعات صغيرة ، انعكس ذلك على الروح المعنوية وعلى العطاء . لابد من تصحيح الأمر أعدت الاجتماع و أعدت الرياضة ، واجهت بعض الصعوبات ولولا الأوامر العسكرية والتقارير نهاية العام لما مارسها بعض الكسالى.

عملت خارج الرياض عشرين عاماً ، ليتني أنقل للرياض لكني لن أذهب إلى أي مكان لمجرد أنه شاغر ولن أطلب النقل، جاءني الفرغ من القيادة لأطلب بالاسم مديراً لإدارة مهمة في القيادة حاول قائد القاعدة ثنيهم عن النقل ولكنه فشل لبيت النداء ، حلقت وعاشت نجاحات كثيرة وإخفاقات كثيرة أيضاً عشت حلاوة النجاح وكان من أهم عوامل النجاح التركيز على المهمة الأساسية وحضور القائد كل نشاط والعدل وعدم المحاباة على أسس قبلية ورفع الروح المعنوية .

لكن الحوادث هي من أكبر المنقصات لكن الله حكمة في ذلك تمر بنا مواقف لا يمكن تفسيرها إلا بإيمان عميق.

سأترك تبوك بهوائها العليل إلى الرياض حيث الزحام و التلوث و علىّ قبل أن أغادر أخذ إجازة طويلة مدتها شهران ، شهر لأسرتي الصغيرة وشهر لوالدتي بدأت مع أسرتي الصغيرة بمدينة (الوجه) مررنا شمالاً على (ضبا) ونمنا ليلة في (شرما) واسترحنا في (مقنا) .

وهل يمكن أن آتي ولا أزور العقبة وعلى الجانب الآخر (إيلات) علينا الذهاب إلى عمّان ومنها نأخذ الطائرة إلى مصر و قبل ذلك لابد من رؤية البتراء لدينا بترأونا (مدائن صالح) لكنها تركت للجهل ونقص الوعي بأهميتها .

أوقفنا سيارتنا في فندق جانب المطار ، وسكنا فيه تلك الليلة . أخذنا سيارة أجرة وطلبنا من سائقها أن يرينا العاصمة عمّان وما حولها . وأخذنا إلى جرش والمسرح الروماني ، أخذنا إلى حديقة جبل القلعة ثم إلى مطعم جميل جلس السائق معنا كواحد منا ، طلبنا منه مقابلتنا بعد عودتنا من مصر ، وأعطينا مبلغاً من المال لشراء هدايا لنأخذها معنا عند عودتنا إلى تبوك . أسوأ ما في مطار القاهرة طريقة استقبال الضيوف . أشار عليّ أحد الموظفين بالخروج من الصف لخدمتي بشكل أسرع ، فشكرته وبقيت في الصف . تذكرت موقفاً حصل لي في الهند عندما أخرجني مراقب بدعوى خدمتي ثم بدأ يساومني على دفع البخشيش.



كانت غلطة عندما أكلت في الطعم ودفعت عشرين ريالاً لأطالب بمثلها عند كل نقطة تفتيش بالمطار ، تذكرت موقفاً آخر في تايلاند عندما طلب مني دفع مبالغ لأتفادي دفع مبالغ أكثر عن العفش الزائد ، رفضت وقلت : سأدفع عن العفش الزائد للخطوط ، لم تكن هناك زيادة ليس الخطأ خطأهم بل على من يوافقهم على ما يفعلون ويدفع بكل غباء

جاءتنا مكالمة من الرياض : لابد أنكم مستمتعون تحدثت الأم إلى ابنتها وأخبرتها أن والدها يرقد في أحد المستوصفات الصغيرة في القاهرة . ذهبنا إليه ومعنا طبيب . رفض المريض كل ما قاله له هذا الطبيب ، ودّعنا الطبيب وعدنا لعمي المريض وقال : لو كان هذا الطبيب يفهم شيئاً لاهتم بنفسه . وزنه الزائد ولهائه بعد صعود الدرج ، ورائحة الدخان ، هذه الأمور الثلاثة : السمّة والكسل والتدخين أفضل بيئة لأمراض السكر والضغط والقلب والشرابين .

أقنعناه وأخذناه إلى مستشفى كبير ، حيث العناية والنظافة وكفاءة العاملين وبقينا عنده حتى شفي وعاد إلى المملكة .

عدت إلى عمّان ولم أجد سائق الأجرة بانتظاري ، ذهبت إلى الفندق وسألت عنه ليخبروني أنه لم يستطع الانتظار لظرف طارئ علي أن أقضي الشهر الثاني مع والدتي في بلدتي (الغاط) ، لكنه أحضر المطلوب ومعه ورقة سجّل فيها ما بقي من النقود وجدت أمّاً مريضة تحاملت على نفسها كيلا تصرف ابنها عن واجبه ، غضبت على قريب لها عندما أشار أنه سيطلبني للحضور لأهتم بها ، تحاملت على نفسها واستقبلتني لكن المرض كان أقوى من أن يخفى ، أقنعتها بالذهاب إلى المستشفى في البلدة المجاورة وذكرت للطبيب المرض الذي أخشاه ويبدو عليه أعراضه (الحمى المالطية) وبعد التحليل قالوا إنها سليمة مئة في المئة لم تقنعي التحاليل ، وأقنعتها بالذهاب معي إلى الرياض للمستشفى العسكري ، وذكرت للطبيب مخاوفي جاءت التحاليل لتؤكد تشخيصي وسوء التشخيص في المستشفى السابق ، تمت أولى مراحل العلاج ، لابد من مضاد حيوي أول ثلاثة أشهر ، كان التحسن واضحاً يوماً بعد يوم .

عدت إلى تبوك وبعد أسابيع ودعوني بحفل متواضع من القلب إلى القلب ، وسلموني هدية ترمز للسرب وخطاب شكر سلمه لي قائد القاعدة . توجهت إلى الرياض . ليست الرياض كتبوك ، لكن فيها أهم دواعي نقلي وهو النهوض بإدارة الحرب الإلكترونية التي تعد من أهم عناصر الحرب الحديثة وفائدة أخرى هي قربي من والدتي التي أصبحت بحاجة إلى الرعاية والعلاج . سأفتقد روح الشباب في عروق صغار الطيارين ، وروح التحدي لإصابة الهدف . أتيت إلى إدارة في القيادة حيث الاجتماع ينتظر الاجتماع والمحضر يدفع المحضر وكثرة الأوراق تلتهم المال والوقت معاً.

سأترك أسرتي هناك حتى ينتهي العام الدراسي ، وأتدبر أمور السكن . تطوع ضابط كان معي في الطائف لمساعدتي في إيجاد السكن ، لكن هذا الضابط ظل يتلذذ بنفاز صبري مدة ثلاثة أشهر ، في كل يوم يعدني ثم يأتي بعذر . وأخيراً اكتشفت الحقيقة المرة . لم يذهب ذلك الضابط للإسكان ولم يحدث أحداً وإنما سوء التربية وحب المماطلة ، يريد ذلك المريض أن يصنع له هالة من الأهمية على حساب الآخرين . أخذت ورقة من رئيسي وذهبت بها للمسؤول عن السكن . وصارت الأمور على ما يرام .



ضريبة الإهمال

كل ما تحملته والدتي من آلام ، وما أخفته عني حتى لا تصرفني عن مهمتي التي من أجلها دخلت القوات المسلحة .

سأدفعه الآن من وقتي وجهدي ، وستدفعه هي من صحتها وراحتها، الزمن لا يحل المشكلات بل يزيدها صعوبة وتعقيد، الإهمال يزيحها مؤقتاً عن طريقك لكنه يضعها لك في المحطة الثانية .

شفيت والدتي من الحمى المالطية ، لاحظت أنها لا تمشي بشكل متزن وتجد صعوبة في صعود الدرج ، شخصت مرضها الأول بحدسي وتعافت منه بفضل مداومتها على المضاد الحيوي ، توقعت إصابتها بمرض (البلهارسيا) وطلبت من الطبيب التحليل الخاص بهذا المرض ، وافق واكتشف المرض وعالجه ، أخذتها لطبيب العيون وطلبت منه التأكد من عدم إصابتها بمرض ارتفاع ضغط العين وللأسف وجده عندها، أما هذا المرض الذي شل حركتها فهو غامض بالنسبة إلي . ذهبت إلى الطبيب الذي عالجها من المالطية والبلهارسيا وشكوت له مرضها الجديد ، جميع التحاليل تقول أنها سليمة ، لكنها غير ذلك.

قالت أُمي بكل ثقة : لقد قلت لك يا ابني أن المستشفيات لا تعالج العين ، لكنك لا تصدق . الناس لا تترك الناس ، لقد بنيت كل ما أملك من تعبتي وعرق جبينتي ، دعك من المستشفيات وابحث عن قارئ ورع يخاف الله ، العين ليس لها سوى القراءة .

بدأت رحلة جديدة مع القارئ ، زرنا خلال سنتين حوالي عشرين قارئاً ، كلهم جعلوا من القراءة ومعاناة المرضى مصدراً للتجارة والثراء السريع إلا واحداً كان كبير السن وإمام مسجد ، ذهبنا إلى بيته فقيل لنا : إنه في المسجد ولا يقرأ على الناس في بيته ، تعرفت عليه بعد الصلاة وأخذته إلى والدتي الموجود في السيارة ، ركب بجانبها وقرأ عليها بصوت عال .

ذكر لي أحد زملائي قارئاً مميزاً وذهبنا إليه ، يحتفظ في بيته بذئب داخل قفص صغير لا يتجاوز مترين ونصف في متر ، فسر بعضهم وجوده بأكل الجنية حال خروجها من المريض ، استمرت الزيارات حتى الزيارة الرابعة قال لي : أمك بحاجة إلى طبيب مختص ليس لها عندي علاج .

سمعت الأم المحادثة فانهارت آمالها بالشفاء على يده .



مضى على المرض عام كامل، والأم تزداد ضعفاً وصعوبة في المشي.

لا بأس من تجربة مستشفى الملك فيصل التخصصي ، أخذت والدتي على حسابي الخاص وذكروا لي طبيباً كندياً مشهوراً ، أخذت معه موعداً عن طريق معرفة لي في المستشفى ، كشف عليها بعد طلب تحاليل وصور

قال لي الطبيب بعد عدة زيارات:

والدتك سليمة وليس بها عيب سوى الكبر.

لكنها لم تكمل عامها الستين بعد .

ليست السنين هي المقياس ، الناس تختلف بعضها عن بعض .

لكنني لاحظت التغيير السريع والمشي غير طبيعي.

لأنها أمك لا تصدق أنها كبرت ، وتتمنى بقائها شابة للأبد.

لا أوافقك يا دكتور ومع احترامي لرأيك والدتي مريضه، ومرض الشيخوخة يأتي متدرج، لكنها كانت قبل أربع أعوام أقوى .

أعاد النظر إليها هذه المرة وطلب منها خلع عباءتها ونظر إلى وجهها الشاحب وقال : معك حق ، والدتك مريضه لكنني عاجز عن معرفة المرض.

قلت لأختي : لن أذهب بها لقارئ بعد اليوم ، سوف نقرأ لها أنا وأنتي ووالدك الذي يحفظ القرآن ولتقرأ على نفسها.

رأني أحد زملائي ماشياً في ممر المستشفى العسكري، وقال : لقد أکبت فيك عنايتك بوالدتك وأنت العقيد، لكنني رأيته تقسو عليها بسحبها من يدها أثناء المشي.

أجبت: شكراً لك على الإطراء الذي لا أستحقه ، فالرتبة أعتز بها ، لكن لا تعني لي شيئاً عندما أخدم والدتي ، أما ملاحظتك عن طريق إمساكي بها فلولا مساعدتها على المشي لما مشيت ، لديها مشكلة لا أعرف لها سبباً .





مأساة أمة

كنت أقضي إجازة نهاية الأسبوع في ربوع محافظة الغاط، وكان الجو لاهبًا، والنخيل ينوء بها حمل ثمارها الصفراء والحمراء، تحت سماء صافية تزينها كثرة النجوم، كنا مجموعة من الأصدقاء جمعتنا الإجازة الصيفية، يستمعون إلى الأخبار بالراديو من إذاعة لندن. لقد فشل الاجتماع الذي رعته المملكة في جدة بين العراق والكويت لاحتواء الخلاف ووأد الفتنه.

بدأ الجالسون تحليل الموقف بين العراق والكويت، كل موجود أعطى رأيه، التفوا جميعًا إلى العسكري الوحيد وسألوه:

هل تظن أن العراق سيعزو الكويت؟

لا أظن ذلك، العراق خرج للتو من حرب دامت ثماني سنوات كادت تدمر العراق، لولا وقوف المملكة والكويت لما كانت نتائجها كما نرى، الحرب قذرة ومن جربها لن يكررها ثانية، لن يلدغ المؤمن في حجر مرتين.

لكن حاكم العراق لم يكن مؤمنًا ولا محللاً إستراتيجيًا ناجحًا.

يصلني اتصال من القيادة: عليك أن تكون في القيادة بملايس الميدان بأسرع وقت ممكن.

ماذا يراد بك أيها الوطن الكبير؟ وما هذا العقوق من أبنائك؟ أخذت أحلل الموقف وأنا في طريقي. هل ستتقدم القوات العراقية إلى المملكة؟ وهل ستحتل المنطقة الشرقية؟ من سيكون معهم؟ ومن سيكون معنا؟ لن نقول للوطن في هذا اليوم الغامض إلا ما قاله ذلك البدوي:

حنًا حزامك لا عوى الذيب للذيب وحنًا يمينك لا رقص كل شيطان

اختاروني وزميلًا لي لنمثل القوات الجوية في وزارة الدفاع: أنتم أفضل من يعرف قدرات القوة الجوية.

في غرفة الاجتماعات ترحمت على شعب العراق المغلوب على أمره، عرفت شهامتهم في الغربية، في اليمن. كان واحدًا من أعز أصدقائي من العراق، ألا يستحق هذا الشعب أفضل من هذه المعاملة؟ فقدت الأمل في صدام منذ حربه مع إيران، معظم مصائب الشعوب من قاداتها.



امتلات البلد بالقادمين من الكويت وفتحت لهم المدارس والبيت لإيوائهم بشكل يدل على أصالة الشعب السعودي وكرمه، أفلتت الحكومة باب التطوع لكثرة القادمين للدفاع عن الوطن .

ساعة الصفر لا تخفى في مثل هذه الحرب الكبيرة رغم التعقيم، القواعد الجوية وحاملات الطائرات كخلايا النحل، الذخائر الحية تحمل تحت أجنحة الطائرات ، هذه القنابل المميتة ستلقى على جنود قابعين في خنادقهم، تركوا أسرهم على أمل العودة سالمين ، هؤلاء هم من سيدفعون أخطاء الدكتاتور والقوة الغاشمة، ونتائج ما يطبخ في مطابخ السياسة وتجارة السلاح.

ما هذه العنتريات يا صدام؟ وما هذا الغباء في تشجيعه والدفاع عنه يا مثقفي العالم العربي من الخليج إلى المحيط؟ المثقف هو عقل الأمة ولسانها، فكيف يطاوعه ضميره أن يخدع الشعوب ويبرئ الظالمين؟ هل لأن الدكتاتور كان يعزف على الوتر الحساس دائماً : تحرير الأرض ومحاربة العدو وهو أكثر من يقدم الدعم والحجج لتدمير مقدرات الأمة ؟ لم يخدم الأعداء وينفذ خططهم مثل النظام الدكتاتوري الدموي ، ومن يحكم الشعوب المغلوب على أمرها بالحديد والنار، أكثر هؤلاء وصلوا إلى الحكم على ظهور الدبابات ، لكنه التحزب الأعمى والأدلجة المقيتة من قبل المثقفين ، ما فائدة المثقف إذا سار إلى الهاوية مع القطيع؟ أن تكرمه الغالبية وهو على حق خير له من أن يحبوه وهو على باطل.

بناء جامعة تضخ بالعقول المنفتحة والثقافة الحية ومراكز الأبحاث ، أهم كثيراً من دبابات صدئة لاتسمن ولا تغني من جوع، القوة في العقول وما تنتج والسواعد وما تبني.

دوّت صفارات الإنذار وأصبحت العاصمة شبه خالية، أكثر الأسر ذهبت إلى المدن والقرى البعيدة عن الرياض، سقطت الصواريخ في أماكن متفرقة .

بينت الحرب أهمية القوات الجوية والاستخبارات والاتصالات، ولعبت الأقمار الصناعية دوراً مهماً ، كانت ميادين المعركة أربعة، البحر وأعماقه والأرض والجو . والآن يضاف لها خامساً وهو الفضاء الخارجي.

منذ الليلة الأولى والمعركة محسومة ، لكن لا بؤادر على انسحاب منظم يقلل الخسارة المادية والبشرية ، ما أطول ليالي العبث وأصعبها! خسرت دول مجلس التعاون الشيء الكثير من الجهد والمال، خاصة المملكة والكويت، وحدها عمان لم تخسر شيئاً ، لا في هذه الحرب ولا غيرها من مغامرات الرئيس.

وكما تجلب الحرب الدمار فإنها تجلب معها الصفقات التجارية، كانت فرصة سانحة لتجارة النقل الثقيل ومتعهدي الأغذية والسلاح ، لكن المستفيد الأول مصانع السلاح ، ستبقى أيها العالم العربي أهم سوق للسلاح ما بقي يحكمك قادة متهورون بالسلطة كصدام ، كلما حاول المخلصون تأمين مستقبل أبنائك وأحفادك وحفظ حقهم ، جاء من يأخذها وكأنه الأحق بها.

بقيت والدتي ببلدتها ولحقت بها عائلتي الصغيرة، بقيت قلقة على ولدها الذي لم تره منذ شهرين ،ما الذي دعا حاكم العراق لغزو الكويت؟ لكنه لم يكن سؤالها وحدها بل كان سؤال الجميع.

كان يمكن لحاكم العراق أن يغزو قلوب الكويتيين بالتعاون والحب، ويشارك في اقتصادهم المتطور .

أبليت القوات الجوية السعودية بلاءً حسنًا، واحتلت المركز الثاني بعد القوات الجوية الأمريكية ، متقدمة على القوات الجوية الأمريكية.

العرق في السلم يوفر الدم في الحرب، أكثر الخسائر من القوات الجوية البريطانية، لاتخاذهم التكتيكات المنخفضة الارتفاع.

انتهت الحرب بخيرها وشرها ، وبدأ الأمل يدب من جديد، دُمر الجيش العراقي ، ودُمرت البنية التحتية في العراق.

والدتي لا تزال هناك ولا بد من إحضارها إلى الرياض لمواصلة العلاج، لقد تغيرت كثيرًا، وتأكد وجود مرض لا أدري ما هو، لكنني مصمم على معرفته .

تذكرت زميلًا لي يعمل طبيبًا في المستشفى العسكري وهاتفته قائلاً: أُمي مريضة ولعلك تستطيع معرفة السبب طلب مني إحضارها وقرأ ملفها جيدًا .

حضرت إلى مكتبه ومعى والدتي ممسكًا بيدها كالعادة، سألتني والدتي :

هل هو مصري؟

لماذا تعتقدين أنه مصري؟

لونه أبيض وصحته ما شاء الله على ما يرام.

لا، إنه من المملكة ، ومن مدينة المجمع بالتحديد.

هل هو متزوج؟ هل له أولاد؟ هل أمه على قيد الحياة ؟ بلغها سلامي وتحياتي بارك الله فيك.

هممت بالخروج ضحك الطبيب وقال : ما شاء الله والدتك هي التي تسألني بدلاً من أن أسئله ، أترك ملفها عندي وأعتقد أنني عرفت المشكلة ولكن ذلك يقرره الطبيب المختص.

بعد أسبوع كنت ووالدتي عند رئيس قسم الأعصاب. كشف عليها مدة ساعة ، التفت إلي وقال : أعتقد بأنني عرفت مرض أمك لكنني للأسف لا أستطيع علاجه .

إنه مرض (الباركنسون) أو ما ترجم بالشلل الرعاش.

أليس له علاج حتى الآن؟

مع الأسف لا يزال الطب حتى الآن عاجزاً عن علاج الكثير من الأمراض ومنها هذا .



استغربت كيف استغرق تشخيص المرض من هؤلاء الأطباء مدة ثلاث سنوات، والسبب هو عدم التحويل إلى طبيب مختص، ثم عدم استماع الطبيب للمريض والاكتفاء بما يعتقد.

أحد زملائي أصيب بالمرض نفسه وحول لطبيب العظام وظل يأخذ صوراً مقطعية وغيرها للعمود الفقري، ويتلقى العلاج الخاطئ لمدة سنة، ولما ساءت حالته حول إلى عيادة الأعصاب حيث شخص مرضه بشكل صحيح.





لماذا قبلت صغيرتي ؟

الحنين إلى المنطقة الشرقية لا ينقطع ، حيث قضيت فيها أجمل أيام عمري ، ذهبت إليها أنا وزوجتي عن طريق البر ، طريقها أصبح ذو ثلاث مسارات بدلا من مسار واحد ، ولكنه يفتقد إلى الاستراحات التي يتوافر فيها الظل ودورات المياه النظيفة .

الجشع صفة ذميمة تجعل التاجر لا يهتم إلا بالربح فقط ، فأصبحنا نرى محطات الوقود والمحلات التجارية بحالة جيدة ، أما المسجد ودورات المياه ففي حالة سيئة ، غياب الرقابة من الجهات المختصة في هذا الشأن زاد الأمر سوءاً .

لا شيء يدوم على حاله ، تغيرت المنطقة الشرقية ، لم تعد تنام مبكرا كما عهدناها ، كثرت المباني و الأسواق والمطاعم وأصبح الزحام أكثر مما كان عليه سابقا.

دخلنا السوق قبل المغرب بقليل واتجهنا مباشرة إلى صالة لعب الأطفال ، أخبرنا الحارس الواقف على الباب أن علينا العودة بعد صلاة المغرب.

أخذت زوجتي وأولادي للمسجد واتجهت للباب الآخر منه . ركضت امرأة من بين الجالسات بقرب المسجد واتجهت إلي مباشرة وصاحت بي أمام الناس تشبثت بي ومنعتني من دخول المسجد وسحبت شماغى بقوة أمام الناس ، حتى حضر عسكري من حرس السوق وتقسّم بالله أمام العسكري بأنني من قبلت ابنتها البالغة ثماني سنوات ، طلب العسكري أن نذهب جميعا معه إلى المكتب لحل المشكلة بعيدا عن تجمهر الناس حولنا .

في المكتب حاولت إقناعها بأنني لست المطلوب ، وطلبت إحضار الحارس كشاهد ، تذكر الحارس وجهي جيدا وفعلا شهد أنني لم أكن موجودا وقت وقوع الحادثة.

ظننت أنها ستراجع وتعتذر أو على الأقل تسقط القضية ، لكنها أصرت . فما كان مني إلا أن اتهمتها بطول اللسان وسوء النية والتربية ، و أثبت براءتي بوجود عائلتي ، وكبر سني ، وهؤلاء الشهود ، لست خائفا ولكن ماذا لو كان الضحية شابا في العشرين ليس معه أسرة ؟ كيف سيكون حاله وهو يساق إلى مراكز التوقيف وقد تصبح علامة مظلمة في سجله ؟



أخذوا مني ومنها جميع المعلومات ، وتركوني ألحق بعائلتي ، في نهاية التسوق مررت بقسم الشرطة بصحبة العائلة ، رأى الشرطي الاطفال معي و أبدى أسفه على ما حصل لي وحمد الله على نهاية المصيبة.

تذكرت قصة حصلت لي في ولاية تكساس ، كانت عكس هذه القصة تماما :

حيث كنت داخلا مع اثنين من الزملاء إلى مطعم مشهور ، صادف خروج ثلاث بنات جميلات أعمارهن بين العشرين والخامسة والعشرين ، تقدمت إحداهن وقبلتني على خدي بقوة ثم لحقت بزميلتيها وهي تؤشر لي خارجة وتقول : جذبني عطرك لذا قبلتك ، وقفت مندهشا وزميلي يلتفتان إلي و يضحكان.

أستغرب كيف حاولت تلك المرأة أن توقعني في أمر أنا منه براء مستخدمة كل ما تملك من حجة وبيان ، أمثال هذه المرأة ينتشرون في كل مكان ، كم مظلوم ذهب ضحية مرضى يسعدهم إيذاء الآخرين دون خوف من الله والناس.

كرهت الأسواق داخل المملكة بعد تلك الحادثة ، كم تساءلت : لماذا تصبح الأسواق عندنا مكانا يطارد فيه الشباب وتتابع الأعين الفضولية كل داخل و خارج ؟

ما سبب هذا التأزم في بلد تنوء مناهجه الدراسية بمواد الدين وترتدي نساؤه الحشمة ؟

هل للمبالغة في الفصل بين الجنسين دخل في ذلك ؟ أم هي التربية ؟ أو التعليم ؟ أو الفراغ ؟ أو هي مجتمعة ؟ هل لقلة أماكن الترفيه دخل في ذلك ؟ مشكلة فراغ الشباب مشكلة عالمية ، لا يمكن أن نطلب من شاب في العشرين أن يقضي جل وقته عابدا أو دارسا أو عاملا ، لدى الشباب في هذه السن طاقات هائلة لا بد من تصريفها بالوسائل المباحة والمتاحة ، و إلا صرفها بمشورة أصدقائه وما تمليه عليه رغباته.





عودة إلى الطبيعة

قبل غزو الكويت بني لي بيتا في المزرعة والأولوية لبناء بيت في الرياض قضينا حياتنا في بيوت أمنتها وزارة الدفاع والآن أصبحت برتبة كبيرة وقد أحال للتقاعد ويطلب مني إخلاء السكن لغيري .

أخذت أسرتي و والدتي ليقضوا بعض الوقت في المزرعة قريبا من الأهل وبين أحضان الطبيعة .

أصعد في الصباح الباكر إلى أعلى الجبل هواية نميته وأحببتها تجمع بين الرياضة وعشق الطبيعة لا أسير إلى القمة مباشرة لكن أتخذ من الشعاب القريبة مسارا إلى الجبل في مثل هذا اليوم تمتلئ الشعب بشتى أنواع الزهور وتعبق بالروائح المنعشة .

في أعلى القمة أستريح قليلا ينعشني الهواء العليل النقي أوصل سيرتي لغاري المفضل .

لا أمل من النظر إلى اللوحة الفنية أمامي حوت هذه البقعة من نجد أجمل ما في الطبيعة ها هو العامل يخرج من غرفته و يتجه بالغنم إلى المرعى يتناهى إلى سمعي صوت الحجل المحبب إلى قلبي لا أمل من سماع صوته المميز أستغرب كيف يطارد و يقتل و كأنه أعنى المجرمين .

قبل تناول الغداء تتأكد الأم أننا أرسلنا للعامل غداءه أو لا تهتم به أيما اهتمام و حين يدخل الشتاء تشتري له الملابس التي تقيه البرد وعلبة من الفازلين ليدهن يديه و قدميه قيل لها أنه غير مسلم قالت : أليس إنسانا ؟ نأثم لو قصرنا في حقه تصوروا لو كان واحد من أبنائكم في الغربة فكيف تريدونه أن يعامل ؟

فتذكرت سيرة الرسول _ عندما مرت أمامه جنازة فوقف لها فليل له أنها جناز يهودي فقال : _ أليست نفسا ؟ أين هذا الحديث من ثقافة يحتاجه عالمنا ؟

تطلب الأم من الجميع عدم ترك بقايا في صحنهم تذكرت ما تعلمته في الغربة أخذوا السفرة لرميها في النفايات فقالت الأم : العظام توضع على حجر يأكلها ثعلب أو قط والقشور تعطى للغنم وبقايا الحب للدجاج وهذا النوى يبذر في التربة لعله يصير شجرا و السفرة تنشف وتستخدم ثانية .



ستموت هذه العادات الجميلة بموت من عانوا من الجوع وقدروا النعمة حق تقديرها ليس الخطأ من الأبناء بل الآباء و الأمهات الذين قصرُوا في تعليمهم .

عندما كانت الأم بكامل قوتها تذهب إلى السوق في أواخر شهر شعبان تشتري كيسا من الرز وكراتين من الدجاج وصناديق من الفاكهة تعطي كل عامل كيسا فيه بعض من كل شيء ومبلغ مئة ريال وتقول هذا عشاء لوالدينا الميتين رحمة الله عليهما .

اشتكى ثلاثة من العمال الهنود أن السائق الذي أوصلها ليوزع ما لديها أخذ المئة ريال و أعاد لكل واحد خمسين ريالا بدعوى أنها نسيت أن تعطي آخرين وعندما علمت بذلك أمسكت بالسائق وزجرتة على قلة الأمانة و أعادت المبالغ لأصحابها هذا السائق هو الذي قال : إنه يصوم الخميس و الإثنين .

وفي نهاية شهر رمضان تذهب لبيوت محتاجة وتدفع لهم الزكاة بنفسها .

لم تعد تستطيع الذهاب إلى السوق للشراء لذا تعطي إحدى بناتها المال وتطلب منها شراء ما يحتاجه العامل وعند ذهابي للمزرعة تردد دائما لكم في كل كبد رطوبة أجر حتى وهي في الرياض تحت كل أقاربها على عدم رمي الأكل في براميل القمامة تطلب منهم نشره وتجفيفه وتطلب مني إيصاله للمزرعة أو لمن عنده أغنام من الأقارب تقول إكرام النعمة في عدم رميها .

ليست الحياة كلها جدا ولا كلها هزلا لكن ساعة و ساعة خلق الإنسان بعواطف و رغبات وبحب وكره بأشواق و أمان يسمع اللحن الجميل فيطرب له و يسمع النشاز فيؤذيه .





مفارقات

لكل حرب إفرازاتها ومن إفرازات حرب الخليج تلوث البيئة وبقاء بعض قوات التحالف في المنطقة.

بعد تفجير مدينة الخبر اتخذت سلسلة من الإجراءات لمنع حدوثه ثانية منها تجميع القوات في مكان واحد، وتعزيز الحراسات والإجراءات الأمنية حول المواقع.

شكلت الحكومة الأمريكية لجنة تحقيق للبحث عن الأسباب التي أدت إلى تفجير فادانت قائد المجموعة، وعاقبته بإحالاته للتقاعد لكن قائد القوات الجوية الأمريكية لا يوافقهم على هذا الجزاء فيعلن قائد القوات تقاعده احتجاجاً على الجزاء غير العادل تخلى عن منصبه ليتنحى كل ضابط لكنه كسب ضميره وأصبح معروفاً، يضرب به المثل في الشجاعة، ويدعى لإلقاء المحاضرات في كلية القيادة كواحد من رموز القوات الجوية الذين تفخر بهم وبشجاعتهم.

جاء صحفي من جريدة (الواشنطن بوست) لزيارة القوات الجوية الأمريكية وليكتب للشعب الأمريكي عن ملاحظاته، فتطوعت لمرافقته.

في خط الطيران حيث الطائرات المقاتلة تجهز وترسل لمراقبة جنوب العراق، رأيت الحماسة والروح المعنوية العالية، فهذا الشاب جاء من ولاية أوريغون حيث الماء والخضر وها هو في وسط صحراء الجزيرة العربية وفي منتصف النهار حول الطائرة المقاتلة، يجهزها وساعد الطيار حتى يقلع يتحدث إليه الصحفي، فيجيب بكل ثقة وبلا تردد: أعشق عملي، وأخدم بلادي.

تمنيت لو شاهدته بعض شبابنا الذين أدمنوا المكيفات وتسمروا أمام شاشات التلفاز.

في المكان نفسه (خط الطيران) توقفنا عند المسؤول عن صيانة خط الطيران يدور بين الطائرات على دراجة هوائية، يبتسم للصحافي ويخاطبه من على الدراجة، يقول: أضرب عصافير كثيرة في وقت واحد. أراقب عن كثب ولا ألوث البيئة، أعشق عملي وأستمتع برؤية الشباب يقلعون بطائرتهم.

أجرى الصحافي مقابلة مع شابة تطير على طائرة مقاتلة، تقول: نعمل وننام في نفس المكان مع بقية أفراد السرب كمجموعة واحدة، نرفض فصلنا عنهم. يسألها الصحفي: ألا يوجد تحرش؟

التحرش موجود من الجانبين، لكن الجزاءات الرادعة موجودة، يفقد الضابط رتبته لو ثبت استغلالها لأغراض التحرش.



عدنا إلى الرياض وذهبت لأرتاح .

النجاح لا يأتي من السماء دون جهد أو تعب. هؤلاء الذين يراهم البعض كعابثين، يتحولون أثناء أداء الواجب إلى كتل من النشاط سرّ النجاح يكمن في حب العمل وإعطائه ما يستحق من وقت الجهد.

في زيارتي للولايات المتحدة وجدت نفس الشعور ، أحدهم كان مسيحياً متديناً برتبة عقيد يعمل في وزارة الدفاع، يأتي من سكنه كل صباح على دراجة هوائية، يتركها عند موقف السيارات قريب من الخط السريع، ثم يركب مع من سيذهب لوزارة الدفاع دون مقابل .

هذا العقيد لديه ولدان يأخذهما في نهاية كل أسبوع، ويلعب معهما كرة القدم يقول هذا العقيد: أريدهما بصحة جيدة، يقول: كل وقتي لعملي وأسرتي، فواحد مصدر رزقي ونجاحي ورفعة وطني، والآخر مصدر سعادتي وفخري.

في قاعدة (كلي) الجوية، قاعدة معلومات ضخمة للحرب الإلكترونية. تعمل بها امرأة برتبة عقيد تقول: آتي قبل الزحام وأذهب بعده زوجي يتضايق كثيراً لكن العمل يتطلب ذلك.

من يرى الولايات المتحدة من الداخل ما تساهم به من تنمية ويرى الجامعات وما تساهم به من دفع للاقتصاد يستغرب كيف يجتمع ذلك مع سياسة خارجية تقوم المصالح السياسية والاقتصادية عن العدالة والحرية للشعوب المستضعفة.

تستطيع الولايات المتحدة بما حباها الله من قوة ورجال مخلصين أن تنشر نفس المبادئ خارجها

الحضارة كقطار في كل يوم محطة سافر عبر آلاف السنين من محطة إلى أخرى حاملاً معه في كل محطة نتاج المحطات السابقة وحضارتنا الحديثة .

أمسك بي يوماً أحد شباب الصحوة وقال لي : الحضارة الإسلامية قادمة ثم أضاف : إن حبيبنا بما فيه الكفاية فسوف ترانا متقدمين على أمريكا و اليابان ضحكت في قرارة نفسي وقلت : لتوطن الحضارة شروط لم نمتلكها حتى الآن .

نفس الشخص أمسك بي في يوم آخر وفي نفس المكان ليعرض عليّ عرضاً من الصعب عدم قبوله الزواج من موظفة صغيرة جميلة وتمت لهذا الشهم بصلة . قلت له بكل أدب : شكراً على العرض فلدي حياة سعيدة و أطفال بحاجة إلى تربية و زوجة تستحق رد لماذا لا تحاول البحث عن مسكين أرهقته الوحدة ليتعاوننا معاً لبناء أسرة صالحة ؟ أما أنا فلن أبني بيتاً جديداً إلا على أنقاض بيت قديم .





القيادة مرة أخرى

ميزة الحياة العسكرية أن لكل رتبة منصبها المناسب ليحفظ لها ولحاملها كرامتهما . أصبحت عميداً لذا لن أبقى مدير إدارة الحرب الإلكترونية أعلنت أن هذا المجال مقدرة وطنية يمتلك ولا يشتري قال لي ضابط فرنسي متقاعد : ذهبنا إلى الولايات المتحدة ليساعدونا في مجال الحرب الإلكترونية وأمضينا عدة أسابيع نفاوضهم وعدنا بخفي حنين وبقائدة واحدة : علينا الاعتماد على أنفسنا .

زارني أحد الزملاء ليهمس في أذني ويبارك لي مقدماً قيادة قاعدة جوية ذهبت لسمو اللواء تركي بن ناصر الذي رشحني وسعى لتعييني لأقول له : إنني أشكره على هذه الثقة .

للقيادة سحرها الذي لا يقاوم خاصة قيادة القاعدة يتم اختياره بكل عناية أهم ما لديه العنصر البشري والطائرات التي بها تنفذ المهمة .

هناك قانون تعلمته من دورة (مدرسة الأسراب) يقول ذلك القانون تعلم قوانين اللعبة قبل بدء اللعب لن يسمح لك الحكم أن تصول و تجول إذا لم تطبق القوانين وتعرف ما هي الصلاحيات و ما هي الإمكانيات وما هي أهم المشاكل وكيف حلها ؟

كان هناك قائد للقاعدة قبلي علي الاستفادة من تجاربه وخبراته وهناك رؤساء أقسام لا بد من كسب ثقتهم و إشعارهم أنني جئت لمساعدتهم .

لكل منشأة مهمة أساسية إن قصرت في أداء هذه المهمة فلن يشفع لك تحسين الجوانب الأخرى .

القوات الجوية في كل بلد مثل شركات الطيران مع اختلاف المهمة صيانة الطائرات و تجهيزها و تدريب الطيارين للقيام بالمهام المطلوبة



هناك تدنّ في صلاحية الطائرات سألت عن السبب قيل لي : نقص قطع الغيار تذكرت ما حصل في تجربة سابقة عندما كنت قائد سرب أليس الإنسان يبحث عن سبب لإخفاقه بعيداً عن إدانته أو تقصيره ؟

الأب المقصّر في تربية أبنائه يضع اللوم على المدرسة أو غيرها من الأسباب الخارجة عن إرادته .

المهم ألا يلوم نفسه أو يكلف نفسه عناء البحث عن الأسباب ليست بسبب نقص الاستعداد أو سوء القيادة أو الفساد لكن بسبب تدخل دولة كبرى وهكذا النقد الذاتي فنّ لا تتقنه شعوب العالم النامي .

إذا أراد القائد أن ينجز مهمة فعليه أن يجعلها مهمته هو لا مهمة المساعدة آنذاك سيرى كيف تكون لها الأهمية وكيف يكون التحسن يوماً بعد يوم .

أخبرت الجميع إن لصلاحية الطائرات أولوية على ما عداها قلت لهم : سأكون في الميدان صباحاً لمراقبة هؤلاء الشباب يؤدون مهماتهم أخبرتهم أنني سأطير معهم و سأذهب لخط الطيران ذهبت لأطير فوجدت الطائرة غير صالحة رغم أنها مجدولة و أخذت الطائرة الاحتياطية فوجدتها غير صالحة أيضاً . عدت للأولى وقد أصلحوها .

هناك مشكلة في قيادة السرب ليس كل ضابط قديم يصلح قائداً وليس كل بارع في تخصصه يصلح قائداً .

قائد السرب كان فنياً ممتازاً يعرف كيف يصلح الطائرات لكن لا يعرف كيف يقود الرجال .

قيادة الرجل بحاجة إلى حزم و قوة ، هذا القائد يحاول جاهداً ويسهم شخصياً في إصلاح الطائرات لكن طالما أن بقية رؤساء الأقسام قابعون في مكاتبهم فلن يساعده على النجاح . طلبت من القيادة قائداً جديداً للسرب فلبوا طلبي وغيروا قائد الجناح صارت صلاحية الطائرات تمر علي وعلى مساعدي يومياً صرت أقارن كل شهر بما قبله لا بد من وجود قياس و مقارنة لمعرفة مدى التقدم .

خلال ستة أشهر اختفت مشاكل الصيانة أطلعني قائد الجناح على رسم بياني لصلاحية الطائرات المرتفعة لم تكن المشكلة قطع غيار ولا تقصيراً من القيادة العليا كان السبب الرئيس ضعف إنتاج و قبول أعذار غير صحيحة لإقناع المسؤول أنها خارجة عن إمكانيات القاعدة ألسنا نقول دائماً : إن كل مشاكلنا و إخفاقاتنا لأسباب خارجية ؟

القائد السابق للقاعدة نظم أولوية السكن بحيث لا يقدم شخص على آخر قال ذلك القائد حكمة : النظام كالبالون جميل متماسك يؤدي المهمة حتى يثقب بعدها يتسع الثقب و ينتهي إلى بقايا يداس عليها وهكذا النظام طبقت هذا القانون فوفرت على نفسي عناء الإحراجات

أثناء زيارتي لنادي وحدات الشرطة رأيت مستودعاً مليئاً بالمواد الغذائية قال لي قائد الوحدة : هذا لرمضان نستهلك من الأكل في رمضان أكثر من أي شهر خاصة اللحوم بأنواعها و المعجنات و الحلويات .

لكن الواجب في رمضان أن يقل الأكل لأنهم في النهار صائمون نقدم في وقت الإفطار والعشاء أنواعاً و كميات كبيرة ويطلبون المزيد . لذا تستهلكون أكثر و تزداد السمنة



كان من عادتي أن أمشي كثيراً بعد صلاة التراويح وهذا يجبرني على تقليل الأكل أثناء سيرتي أمر على الكثير من الحاويات التي تحتلها القطط وتحتفل بقدوم شهر رمضان تمتلئ تلك الحاويات بشتى أنواع الأكل كم مرة هل سأل كل رب بيت ماذا يخرج من بيته لتلك الحاويات وكم مرة في اليوم يخرجونها ؟

يقول الأستاذ محمد أسد في كتابه (الطريق إلى الإسلام) ((إن الغاية من شهر الصيام إن على الفرد أولاً أن يمتنع عن تناول الطعام و الشراب حتى يشعر في جسمه هو بما يشعر به الفقراء و أما الغاية الثانية من الصيام في رمضان فهي ضبط النفس و هي ناحية من نواحي أخلاق الفرد وفي هذين العنصرين الأخوة الإنسانية و ضبط الذات بدأت أميز الخطوط الكبرى في استشراف الإسلام الأخلاقي) ص ١٩١





كلاهما تحبو

قبل تولي قيادة القاعدة كان سكني في جنوب الرياض أتعرض للزحام يوميا تغلبت عليها بالاتفاق مع أربعة زملاء نذهب و نعود معاً وفرنا المواقف في منطقة العمل و قللنا من عدد السيارات و التلوث في الشوارع .

لقائد القاعدة سكنه الخاص و القريب من عمله البيت واسع فيه أربع غرف كبيرة خصصنا واحدة منها . للصغيرات غرفتهن الخاصة .

خرجت من غرفتي لأتوجه للعمل رأيت والدتي ذات السبعين عاما و ابنتي مشاعل الأقل من عام واحد كلاهما تحبو . الصغيرة كانت تبكي باحثة عن أمها ، تحبو ذاهبة إلى الحمام . الخادمة أعيها السهر ونامت . لم تشأ الوالدة إيقاظها تتمتع بعبارات طالما رددتها (أصبحنا و أصبح الملك لله الحمد الله على هذه النعم الكثيرة يا الله من حيلي إلى قبري اللهم لا تجعلني عالة على أحد) .

الصغيرة تفتح الباب بيدها الناعمة لتخرج للحياة و الكبيرة تغلقه بيد متبسة ملأت الحياة الصغيرة ببشرة نقية ملساء صافية والكبيرة ببشرة تقاسمتها التجاعيد والخشونة وتحكم فيها اليأس . الصغيرة تنضح بالصحة والحياة والكبيرة هدها المرض و ملأت الحياة . وقفت بينهما على نفس المسافة أنظر إلى هذه و تلك واحدة تحاول الصعود و أخرى تساق لمنحدر حزين .

فكرت في الحياة ما أقصرها و ما أطولها ! ما أسعدها و ما أشقاها !

أبدأ والنهية ماثلة أمامك من العادات السبع للكاتب ستيفن كوفي نحن اللذين نصنع السعادة و الشقاء الصحة و المرض أجمل ما رأيت تلك القناعة و الرضا البادية على محيا والدتي لم أسمع منها يوماً تذرماً من الحياة لكنني حزنت لتلك الصغيرة القادمة بقوة للحياة لتلك الصغيرة طاقات هائلة من القدرات وهي مطمورة لن تجد من يصقلها و يبرزها للوجود .

لن تبرز تلك الطاقات إلا بتربية سليمة متوازنة بعيدة عن العنف و الإيذاء الجسدي و النفسي تربية تعطي للطفل مجالاً أوسع للعب تعليم مبني على خبرة وتجارب الآخرين و دراساتهم .



لتلحق الأمة بنادي الدول المتقدمة حيث الرخاء والنظام و تقدير الفرد و حفظ حقوقه لا بد من استثمار كل مقدرات الأمة سواء من الرجل أو المرأة .





من يعلمهم السلوك الحضاري

نقسو على الشباب و نعيب تصرفاتهم ونحن سبب كثير منها ننتج بغزارة ولا نربي بجدارة التربية لا تتم خلال النصح و الوعظ فقط . أبنائي أمانة في عنقي و لا أترك غيري يعلمهم ما أستطيع أن أعلمه لهم و مما أحرص على تعليمهم قيادة السيارة لخطورتها السيارة سلاح نستعين به أتحدث إليهم و لا أبخل عليهم بالنصح و الإرشاد و أكون دوماً قدوة لهم لكن أهم من الكلام التطبيق

بعد بلوغ الابن سن الخامسة عشرة أبدأ بتعليمه قيادة السيارة قبل التحرك أطلب منه ربط الحزام وضبط المرايا يستمر يقود السيارة معي سنتين يصبح سائقي حتى تصبح القيادة السليمة هي العادة الثابتة عنده أفضل وقت يتعلم فيه الكثير عندما نكون ذاهبين إلى المزرعة يقود السيارة ساعتين متواصلتين .

أثناء القيادة في المدن أشير إلى ما نراه أمامنا من مخالفات خاصة عند إشارات المرور كالوقوف على خطوط المشاة أو مضايقة الآخرين في الوقوف أقول له ليس هدفي من تعليمك هو عدم ارتكاب الأخطاء فقط بل تفادي أخطاء الآخرين دائما أذكره بقول وafd أمضى وقتاً في المملكة : أحب في الشعب السعودي صفات كثيرة منها حب الخير و الرغبة في المساعدة لكنني أكره سلوكهم حال ركوب أحدهم السيارة يتحول إلى إنسان مختلف أناني وغير منضبط وأسباب ذلك مرور مقصر في تطبيق القوانين على الجميع .

ركب ابني مع زميله ذات صباح إلى المدرسة ، في المساء أبلغني أنه لن يذهب معه مرة ثانية قال : زميلي يقود السيارة بتهور أخبر والده أنني لن أذهب معه جاء زميله يعتذر و يقسم بالله أنه لن يتهور .

جميع دول العالم المتقدم لديها دورات في المدارس وخارجها لتعلم القيادة الصحيحة

واجبنا تعليم أبنائنا ومما أعلمهم السباحة و صعود الجبال وقد أخذت معهم دورة في الغوص منذ الصغر أشجعهم على إصدار المجلات يسمعون مني كلمة لو سمحت عندما أطلب منهم شيئاً وكلمة شكراً بعد أدائه لا يأتي النجاح حظاً و مصادفة فكل طفل ناجح وراءه أم و أب مهتم أو كلاهما .



أحب إليهم العمل و أهمية الاقتصاد وفضل الادخار دون تقتير أذكرهم بمثل
يقول ((الفقر في الوطن غربة و المال في الغربة وطن)) الفقر لا يحاربه سوى
العلم و العمل .

يروى أحد قادة القواد الجوية قصة ظريفة تدل على الجد والثقة بالنفس يقول :

يتمهن بعض الشباب و الشابات تنظيف السيارات في مواقف الكلية وفي كل مرة يتقدم إليّ شاب لا يتجاوز سن الرابعة عشرة و
يطلب تنظيف سيارتي بدولار واحد و مرة دعاني قائد الكلية إلى بيته مع عدد من الطلبة و رأيت ذلك الشاب الذي ينظف السيارة
ظننته جاء للمساعدة تقدم إليّ الشاب وسلم علي بكل حرارة وقال لي : ألم تعرفني ؟ أنا الذي أنظف سيارتك في كل صباح قدمني
لوالده قائد الكلية وبكل فخر قال : هذا هو الذي أنظف سيارته كل يوم ، ابتسم والده وشكره . في صباح اليوم التالي تقدم ذلك
الشاب وشرع في تنظيف السيارة دفعت له خمسة دولارات بدلاً من دولار واحد رفض إلا بشرط : أن تكون للخمسة أيام القادمة.





وقفز الطائر من عشه

تخرج الابن من الثانوية والتحق بشركة أرامكو وهو الآن جاهز للابتعاث .
ودعته في ذاك الصباح ليذهب للظهران للتو أكمل السابعة عشرة . في الليلة السابقة تحدثت إليه لكن كثرة مشاغل الابن حالت دون إكمال الحديث فرأيت أن من الأفضل أن أكتب رسالة أسلمها له و أطلب منه قراءتها في الطائرة جاء في الرسالة :
لن تعيش سوى حياة واحدة فإياك أن تضيعها بالتجارب الفاشلة فالوقت أعظم رصيد لا يمكن الاحتفاظ به .
لن يحميك من الزلل سوى دين يذكرك بالاستقامة كلما ضعفت المقاومة تذكر أنك في عبادة طالما أنك تسعى جاهداً لكسب القوة في كل مناحي الحياة .
عليك بأفضل هواية و أنجح تجارة (القراءة) فلم يتقدم الجنس البشري إلا بها عليك بقراءة سير الناجحين و العظماء واتخذ في الغربة من المكتبات شبه سكن و من الميادين والحدائق مكاناً للرياضة وتصالح مع الطبيعة .
إياك أن تعود وقد أخذت منهم أسوأ ما فيهم التدخين بوابة تلج منها لغيرها ويأخذ من رصيدك الصحي حتى ينفذ بينما الرياضة تضيف إلى هذا الرصيد أعواماً و أعواماً بإذن الله .
اسبح قريباً من الشاطئ وتجنب الشذوذ و بائعات الهوى فهؤلاء يبيعون المرض .
حاول أن تعود لوطنك بأفضل ما عندهم و ما كان سبباً في تقدمهم فلن يقدموا لك وجبات جاهزة من المعلومات لكن عليك أن تتعلم كيف تبحث واصنع من الصبر و الأمل قارباً يوصلك إلى شاطئ النجاح لا تجعل الشهادة غاية بل وسيلة وتعلم كيف تكون طالب علم على الدوام .
التاريخ يا بني لا يصنعه الكسالى وقد تكون من قلة متميزة تفقد بلادها للرخاء فلعلك تضيف جديداً تهديه لبلدك المعطاء .
أن تأخذ من الوطن شيء بسيط لكن لك أن تعطيه فهو بحاجة لجهد لذا ترى القليل يعطون والكثير يأخذون وكأنهم يقيمون فيه بصفة مؤقتة . كن خير سفير لدينك وبلادك الغالية تذكر أن الدين المعاملة ولن يصدقوك إلا إذا اتفق خطابك مع خصالك وأتركك مع حديث رسول الله (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) في ما معناه ..
وضعتها في مطروفي وطلبت منه أن يقرأها في وقت فراغه أكثر من مرة نشرت مقتطفات منها في مجلة لتعم الفائدة .



قال أحد الضباط عندما زارني بعد التقاعد احتفظت بمجلة الصقور سنين منذ كنت طالباً بسبب هذا المقال .

زارني ضابط آخر و أثنى على مقال بعنوان (لو عدت طالباً) فيقول: تأثرت بهذا المقال قرأته أكثر من مرة و غير مجرى حياتي

و مما جاء في المقال :

((دخل عليّ زميل فرقت بيني وبينه الأيام كان يشكو من ضيق في التنفس بسبب التدخين و كان وزنه زائداً من كثرة الأكل و عدم ممارسة الرياضة

قال لي : أتذكر أيام المرحلة الثانوية ؟ هناك تعلمت التدخين سافرت خارج المملكة كنت أشرب بشراهة كنت أظن الشراب سر سعادتهم قدم لي أصدقاء السوء حشيشاً فجربته قالوا لي إنه سر الإلهام فإذا به يقودني لدهاليز الخوف والوهم ولم ينقذني منه سوى السجن لعدة أيام .

ظننت الرياضة ترفاً لا يمارسها إلا المرضى و الرياضيون أبحث عن أي عذر لعدم ممارستها هجرت القراءة كنت أعدها مضيعة للوقت حتى أبنائي للأسف تأثروا بي هل تصدق أنه إلى الآن لا أملك منزلاً لم يكن التوفير و الادخار ضمن قاموس كلماتي كنت أضحك على من يوفر أخطاء كثيرة أدفع فاتورتها من صحتي و مالي وتدفعها زوجتي و أبنائي)).





المريخ والزهرة

أخذت موضوع الخلافات الأسرية حيزاً في تفكيري وخاصة ما يقع على المرأة من ظلم فكرت كيف أسهم في منعه جرت العادة أن أساعد كل شاب من الأسرة مقدم على الزواج لكن أهم من المساعدة المادية المساعدة في تخطي مشاكل الزواج صرت أرفق خطاباً بدأ أول الأمر بتهنئة ثم أصبح تذكيراً بأهم ما يتوجب على الزوج أقول في بعض فقراته :

((أهنئك على أعظم خطوة تتخذها في هذه الحياة ، و أعظم استثمار سترتبط بمن ستكون أقرب الناس إليك و أنت أقرب الناس إليها ستكون مستودع أسرارك وأنت مستودع أسرارها تذكر أنها ستكون نصفك الثاني وحجر الأساس لبناء أسرة سعيدة عليك ببلسم الحب و الاحترام فبهم تذيب كثيراً من الاختلافات ولا تسمع لمن ينصحك بغير ذلك بعض الجهلة يرى العلاقة من جانب واحد يرى العلاقة الدائمة هي التي تبني على ربح الطرفين .

المرأة طاقات هائلة من الحب و العطاء فلا تكن عامل تثبيط أو هدم لتلك الطاقات كلاهما بحاجة للحب .

كن قدوة لها في الحب و تقدير الفوارق و قبولها أرفق لك كتاباً يوضح هذه الفوارق حتى لا تسيء تفسيرها و التعامل معها (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة) هذا الاختلاف هو سر وجود الرجال و المرأة

شجعها على السير في حقول العلم و العمل و أعطها الثقة بنفسها إياك و البخل فهو عدو الرجال و إياك والشك فهو نار يصطلي بلهيبها الطرفان حاول أن تكثر من المناسبات السعيدة فهي تعني لها الكثير خذها دائماً باللين واللفظ و سترد لك ذلك أضعافاً مضاعفة إياك والمماثلة بحق من حقوقها وتذكر أن أهم شرط في الزواج (إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) أتمنى لك ولها التوفيق ولا بأس أن تطلعها على هذا الكتاب (().





شهامة قائد

لسائقي العسكري تجارب مع عدد من القادة السابقين، كان يعدد مزايا كل قائد، وقد تعلق كثيراً بقائد ظل معه ست سنوات. لهذا القائد مواقف تدل على الشجاعة وحب الخير، يقول السائق: طلب مني أن نذهب للسكن بسرعة، هناك مشكلة لا بد من حلها: تمت محاصرة إحدى الشقق في سكن القاعدة من قبل الشرطة والشؤون الدينية في القاعدة. كان صاحب الشقة مسافراً، ولا يسكنها سوى ولده البالغ عشرين عاماً، أحضر هذا الشاب وزميل له، بنتين من الجامعة، وأغلقا الباب خلفهما. حضر القائد هشام غاضباً متذمراً من تصرفات الشرطة، طلب إبعاد الجميع عن المكان عدا قلة يحتاجهم. كسروا الباب ودخلوا، وجدوا فتاتين وشابين في حالة انهيار تام، أنزل غضبه بهذين الشابين ضرباً وركلاً، نزل إلى سيارته ومن هاتفها، خاطب مسؤولاً كبيراً قال لهذا المسؤول: لا يهمني الشباب فالمجتمع ينسى خطأهم بسرعة، لكن ما هو مصير هاتين البنيتين؟ وما هو مصير والديهما، وما لهما من إخوة وأخوات وأرحام وأصهار وبقية الأقارب؟ قد نجبر هاتين البنيتين على الاستمرار في طريق الخطأ إذا انكشف أمرهما ونبتنا من المجتمع الذي لا يرحم زلة المرأة، أيده المسؤول وطلب منه التصرف بما يراه وقال له: على بركة الله يا هشام.

طلب القائد من رجل مسن من منسوبي الشؤون الدينية بالقاعدة، أن يحضر زوجته ويأخذ البنيتين إلى الجامعة وينتظروا خروج الطالبات، كان التأثر والندم بادياً على البنيتين، وكان درساً قاسياً لهما.

أليس الستر من أهم مقاصد الشريعة السمحة؟ والآيات والأحاديث في هذا المجال كثيرة.

لم لا يكون هدفنا الإصلاح بدلاً من الفضائح والتشهير؟ الحلم واللين والأناة مطلوبة للتعامل مع نزوات الشباب، ويبقى أثرها الإيجابي أبلغ وأكثر تأثيراً من العنف ومنطق القوة.





سر تفوق اليابان

قرأت قصاصة في مجلة متخصصة، عن الجودة الشاملة، لأول مرة أسمع بالجودة الشاملة، أعرف الجودة لكن لا أعرف الجودة الشاملة.

أخذت أقرأ عنها: تدعو إلى خلو المنتج من الأخطاء، ورضا العميل، والتطوير المستمر. وجدتها سلة مليئة بأحسن ما في حديقة الإدارة من أفكار. قام بجمعها وتنسيقها علماء نذروا أنفسهم للمعرفة، خطوات في الإدارة يحتاجها الجميع. بدأت الجودة الشاملة في أمريكا ولم تنجح، لكن اليابان التي خرجت للتو من الحرب والدمار بعد الحرب العالمية الثانية، كانت متعطشة لحرب جديدة، حرب العقول والسواعد، وانتزاع حصة من الاقتصاد العالمي، استضافت أساتذة الجودة من الغرب. وجد اليابانيون أن الجودة أوفر كثيراً من غيابها. الخطأ إذا لم يكتشف مبكراً يكلف الكثير، خلو المنتج من العيوب يعني رضا العميل وكسب عملاء جدد، وتوفير الوقت وتقليل التالف بسبب الخطأ.

حاولت تطبيق الجودة الشاملة في القاعدة، ذهبت إلى معهد الإدارة واتفقت مع أستاذ الجودة الشاملة والمسؤول عن تطبيقها في المعهد لعقد دورة تكون مدتها أسبوعين لجميع رؤساء الأقسام في القاعدة، واتفقت مع معهد محلي لعقد الدورة فيه، حتى يكون الجميع بعيدين عن جو العمل، استفاد الجميع من الدورة وتحمسوا لتطبيقها، استمتعنا بجو النقاش، وكفاءة الأستاذ، إذ أعطانا مثلاً حياً من واقع عملنا، استفاد الحاذرون من الدورة، وبدأ بعضهم يطبقها على نطاق ضيق في عمله وحياته الخاصة، لكن المشروع كغيره من المشاريع الكثيرة توقف مع نقل القائد، وتولى قائد آخر له ثقافة واهتمامات مختلفة. الجودة الشاملة تفشل إذا لم تتبناها القيادة العليا، لكنها طريق الأمة للمنافسة العالمية، في عالم تفتحت أبوابه المغلقة أمام الآخرين.





دروس من الميدان

أرسل قائد القوات لي كتاباً، وطلب مني إرساله إلى مسؤول مهم خارج المملكة، فطلبت من الضابط المناوب الحضور، وسلمته المظروف واسم الشخص الذي يعطى له وعنوانه.

في الصباح اتصلت بالمناوب لأتأكد من أنه أرسل الرسالة لأبلغ القائد، وجدت الكتاب لا يزال معه، وأثناء إقلاع الطائرة لوجهتها؛ كان المناوب يغط في نوم عميق. هناك خطأ ما ولا بد من معرفته لشرحه للقائد الذي كان حريصاً على إرساله. اعتذر المناوب بأنه اتصل ببرج المراقبة، وسألهم عن موعد إقلاع الرحلة لتلك الوجهة؟ فأفادوا أنه لا يوجد رحلات مجدولة لتلك الدولة. لكن الطائرة لن تذهب مباشرة إلى تلك الدولة، هل اتصلت بالشخص الذي سيحمل الرسالة كما أخبرتك؟ أجاب: لا.

دخلت على رؤساء الأقسام في الاجتماع الأسبوعي، وكتبت "سبات" هل يخبرني أحدكم ماذا تعني؟ ثم أخبرتهم بقصة المناوب الذي أخرجني أمام قائد القوات. قلت لهم: احفظوا (سبات) وعلموها لمن تحت قيادتكم:

السين تعني : سجل ولا تعتمد على الذاكرة فقط.

الباء تعني: بلغ وباشر في عمل المطلوب ولا تؤجله كي لا تنسى.

الألف تعني: أكد وإذا احتجت أعد قراءة الرسالة واطلب ممن بلغته بإعادة ما قلت له.

التاء تعني: تأكد من تنفيذ المطلوب، وتابعه للتأكد من إنجازه كما هو مخطط له.

صارت (سبات) لا تعني النوم العميق الذي كان يغط به مناوبنا في ذلك اليوم. بل تعني الحذر من مشاكل الاتصالات.

كنت رئيساً لواحد من مشاريع القوات الجوية، مما أعطاني مرونة في ترميم بعض المباني، من بينها المدارس الابتدائية التابعة لوزارة التربية والتعليم داخل القاعدة، إذ أنهم يدرسون في فصول جاهزة؛ لكثرة الطلبة، فتم بناء ثمانية فصول إضافية لكل مدرسة، ظل مدير مدرسة البنين ومديرة مدرسة البنات يتصلان بي ويشكرانني على هذه التوسعة حتى غادرت القاعدة.

ميزة القائد الناجح اتخاذ القرارات الصعبة وتحمل نتائجها، وإلا صار مديراً يسير ما كان موجوداً ومكتوباً، ميزة الدول المتقدمة نظامها الدقيق في اختيار القادة ومتابعتهم، وإعطائهم التدريب والصلاحيات والإمكانات والفرص المناسبة.



زارني ضابط من الشؤون الدينية يطلب مني دعماً لتأسيس مركز لدعوة الجاليات، طلبت منه وقتاً للتفكير ، ثم دعوت قائد المجموعة من قوات التحالف إلى مكتبي، وعرضت عليه إنشاء مركز ثقافي يعرف القادمين الجدد منهم بالمملكة وإنجازاتها، وبالدين الإسلامي وسماحته والإجابة عن أسئلة الحضور.

دعوت ضابط الشؤون الدينية إلى مكتبي ثانية وقلت له: نريده مركزاً ثقافياً ولا مانع لديهم من ذلك.

تضافرت جهود الطرفين، وأنشئ مركز ثقافي مثالي، تقام فيه الندوات ويدعى له أساتذة الجامعات الذين يتقنون اللغة الإنجليزية، يحضر الرجال والنساء، فيستمعون للمحاضرة ويتناولون العشاء.

أعد برنامج للنساء يحضرن لبيت قائد القاعدة مرة في الشهر، تستقبلهن زوجتي ومعها عدد من النساء السعوديات المتقنات للغة الإنجليزية، توقف برنامج المرأة فيما بعد.

أما المركز فلا يزال صامداً رغم أحداث 11 سبتمبر وما تلاه من تفجيرات، ظل دوره لأنه بني بالتنسيق بين الطرفين واختير له من يتقن التعامل مع الثقافات المختلفة.

بعد وصولي القاعدة ، بحثت عن مساعد لي، من الأفضل أن أختار من يناسب هذا المنصب بدلاً من تركه للقيادة فقط، لدي معرفة بالضباط الموجودين في القاعدة.

الرجل الثاني بعدي منقول من القيادة وسيحال للتقاعد قريباً، تجربته في أكثر من موقف فوجدته عند حسن ظني، قوي وأمين، صفتان من أهم صفات القائد.

ذهبت لقائد القوات وفاتحته بالأمر ، وطلبت منه مساعدتي في تعيين هذا الضابط مساعداً لي.

لكنه على وشك التقاعد.

هذا الشخص عملة صعبة.

على بركة الله، وسنسعى لسحب طلب تقاعده وتثيينه مساعد قائد قاعدة.

استمر هذا الضابط مساعداً حتى نقلت من القاعدة ، غياب التقييم الفعال وبرامج إعداد القادة، وعدم التغيير المستمر، يحول دون الاستفادة من الكفاءات الممتازة.

بعض القادة والمديرين يتلذذون بالنوم العميق، بل الموت السريري لإداراتهم، ويعدون طول بقائهم في مناصبهم علامة نجاح ودهاء.



إجازة مدفوعة الثمن

اتصل بي مدير إدارة شؤون الضباط ليخبرني، أنني مرشح لدورة قصيرة عن إدارة المصادر البشرية والمالية في الولايات المتحدة، في (مونترى) كاليفورنيا، ما يحز في نفسي أن زوجتي وأطفالي لن يكونوا معي.

الدورة مخصصة لكبار المسؤولين في بلدانهم، عسكريين ومدنيين، من كل بلد مرشح واحد، يحاضر فيها نخبة من الأساتذة من حملة الشهادات العليا. كان من ضمن الطلبة ضابط من (الأردن) لم يلبث أن صار ملكاً بعد عودته بأشهر.

خصصوا لكل طالب متطوعاً من نفس المدينة، يهتم به ويدعوه. للمناسبات في بيته، ويطلعه على معالم المدينة، كان المسؤول عني رجلاً كبيراً في السن لديه مساحات كبيرة من مزارع العنب الذي يزرع خصيصاً لصناعة النبيذ، أقامت المسؤولة عن أحد الزملاء حفلاً في منزلها الواقع في منطقة جبلية جميلة تطل على المحيط، تقول: نحن محظوظون في هذه المنطقة الجميلة والهادئة، مشكلتنا الوحيدة مع الغزلان، مسكينة، ما هذه المصيبة؟ قلتها في قرارة نفسي: غزلان تأكل الورد! .

في العالم الآخر أبادوا كل ما يدب من حيوان وطيء، وكل شجر أخضر، ولم يبق في صحاريهم سوى العقارب والخنافس، جعلوا من إبادة رياضة، ومن مصادرة حقها في الحياة متعة.

ذات مساء جلست وحيداً أتناول عشاءي في مطعم يطل على مياه المحيط، دخل المطعم رجل في حدود السبعين، لكنه قوي البنية ويدفع عربة فيها سيدة مريضة، جلسا إلى الطاولة المجاورة لي، أعجبت بهذا الوفي يهتم بهذه المرأة، دفعني فضولي لمعرفة من تكون؟ فسألته: هل أنتم من هذه المنطقة؟

نعم وقد مضى لنا معاً إحدى وخمسون سنة، هذه زوجتي مصابة بضيق التنفس ولديها أمراض أخرى.
لا بد أنك تشعر بالسعادة لخدمتها؟

بكل تأكيد، إنها امرأة عظيمة، تزوجتها قبل أكثر من خمسين عاماً، كنت ضابطاً في الحرب العالمية الثانية، لحقت بي، أبحرت مدة شهر كامل، وعلى يدها طفل وفي بطنها طفل آخر. وأضاف: إنها امرأة عظيمة.

طار بي خيالي مرة أخرى إلى حيث تستبدل الزوجات كما تستبدل الملابس والسيارات القديمة، لله درك يا كل شهم، (رجلاً كان أو امرأة) وفيت، وأديت الأمانة حتى تعود كل نفس لبارئها.



شخص طلق زوجته الثانية الصغيرة البارعة الجمال، بعد أن رزقت بمولودها الأول لأنها لم تعد تختلف عن زوجته الأولى، بحسب مفهومه لدواعي الحب والزواج.

كم من التجاوزات ترتكب باسمك أيها الدين العظيم؟ أتيت رحمة وعدلاً، وجعلت الزواج سكناً ومحبة، أتيت لتسعد الجميع ذكوراً وإناثاً.

غادرت المطعم بعد أن ودعت الزوج وزوجته المريضة وتمنيت لهما حياة هائلة.

في طريق العودة إلى المملكة، قررت أن أزور أحد أصدقائي في أوروبا، كان وصولي عن طريق باريس، لكن باريس لم تكن مستعدة لاستقبال الضيوف في ذلك اليوم، كان هناك إضراب شل معظم نشاطات المطار ومنع المواصلات من الوصول إلى المسافرين، أريد أن أنتقل إلى مطار داخلي لألحق بطائرتي بعد ثلاث ساعات. الوسيلة الوحيدة للانتقال هي الحافلة، والزحام لركوب الحافلة يزداد سوءاً، نظر إلي أحد الرجال الواقفين، وقال لي: تحمل حقيبة وأحمل الثانية ونصعد معاً، شكرته وأعطيته الحقيبة وركبنا في أول حافلة، نزلنا معاً، ودلني على الاتجاه المناسب في محطة القطار، ودفعت قيمة التذكرة، ورفض أن أدفع قيمة تذكرته، لم يتركني إلا بعد أن نزلت من القطار، أخبرني أنه من سويسرا ويعمل في باريس، شكرته واختفى في زحام المدينة الصاخب، كان درساً من غريب دفعه حب الخير لمساعدتي، لا تزال الدنيا بخير ولا يزال الناس على استعداد لبذل الخير لغريب لا يعرفونه.





محطة جديدة

عدت إلى أهلي وعملي، ليخبرني رئيسي أنني منقول إلى منصب آخر، منصب في القيادة تقاعد شاغله قبل أيام.

كان المنصب هو رئيس هيئة الاستخبارات، عمل حساس ومهم، ثم إنه علي أن أخلي ذلك السكن البعيد في جنوب الرياض، علي أن أبحث عن بيت لشرائه، لدي استثمار في الأسهم العالمية التي تحلق عالياً بقفزات مجنونة. بحثنا أنا وزوجتي عن سكن مناسب مدة خمسة أشهر.

وجدنا المنزل المناسب بكل ما نريده من مواصفات، بعث كل شيء واشترت المنزل. لا أنا ولا زوجتي بهذا القدر من الوعي الاستثماري، لكنه الحظ، والعناية الإلهية، ولو تأخر نقلني من عملي عاماً آخر لما وجدت في محفظة الأسهم ما يكفي لدفع إيجار عام واحد.

من جرب الميدان، لا يطبق العمل في القيادة، حيث الاجتماعات الكثيرة والأوراق والروتين الممل.

لقد أثبتت الاستخبارات أهميتها في حرب الخليج في إيصالها للمستفيد في المكان والوقت المناسبين أيضاً، صارت المعلومة تصل الطيار وهو في طائرته. مهمة أخرى للاستخبارات، وهي القضاء على آفة المخدرات بين منسوبي القوات الجوية. أكثر ضحاياها من صغار السن، وأفضل مكان لبدء حملة الوقاية منها هي المدارس، ودورات التجنيد؛ لذا كان التحذير منه نصيب في كل محاضرة.

مآسي المخدرات تسمعها من شكاوى زوجات المتعاطين وسوء سلوكهم، ليست كل الشكاوى صحيحة، لكنها تدل على وجود مشكلة.

القوات المسلحة ليست سوى شريحة يسيرة من المجتمع، لكنها شريحة منضبطة، المشكلة الكبرى مشكلة الشباب على مستوى الوطن الكبير، العالم العربي.

يتحدث خطيب الجمعة عن عبادات معروفة، وأمور مكررة وقضايا لا تهم الناس كالسياسة، ولا يتحدث عن هموم الناس من تربية وسلوك حضاري مطلوب، لم لا يكون خطيب الجمعة معاشياً لهموم الناس ومسهماً في حلها؟، يجتهد كثير من الدعاة عن حسن



نية، في البحث في التراث عن المزيد من الأدلة للتحريم والتجريم، وخاصة في مجال الفن والمرأة، ناسين أنه كلما أقفل باب فتحت أبواب أكثر أقل سوءا وأقل مراقبة.





في أحضان الطبيعة

العمل في القيادة يختلف تماماً عن العمل في الميدان، لا نرى هنا سوى أكداًس من المعاملات وساعات من الاجتماعات، مملة لكنها ضرورية لتسيير العمل.

عدم الارتباط بالعمل في إجازة نهاية الأسبوع ، أعطاني مجالاً أكثر للقراءة وزيارة المزرعة، وكثرة القراءة زادتني عشقاً للطبيعة واحتراماً لها، كم من الناس ، يعيشون قريباً من هذه النعم ولا يرونها! بل أكثرهم يزم شفتيه ويستغرب من تجشمي عناء صعود جبل لا يضم في نظره سوى الحجارة والشمس الحارقة. لن يصدقوا كم من الفوائد جنيتها من رياضة صعود الجبال التي علمتني الصبر والراحة النفسية والشعور بالأمان.

صعدت يوماً إلى الجبل فعرفت أن لياقتي ليست على ما يرام، قالت لي دقائق قلبي المتسارعة ولهائي غير المعتاد، أهملت الرياضة؛ فذكرني الجبل، قال لي: لياقتك ليست على ما يرام.

من السهولة أن يختبر الإنسان لياقته البدنية بأكثر من طريقة، لكن ماذا عن اللياقة الذهنية؟ ماذا عن هذا المتصرف بكل شؤون الحياة؟ هذا القابع في الرأس. لضعف اللياقة البدنية دلائل صحية وبدنية واضحة، لكن ليس للإعاقة الفكرية دلائل ظاهرة، لكنها واضحة في شح نتاج كل أمة ، لا يلام إن نام في ظلام دامس، وقد أغلقت أمامه كل الأبواب وألغيت كل الشبابيك.

نظرت داخل مزرعتي فرأيت العامل النيبالي خارجاً من غرفته، متجهاً إلى داخل حظيرة الغنم، تساءلت عن أسباب مجيئه شعراً:

وعندك الخير موفور لمن تعباً

ماذا أتى بك من نيبال مغترباً

فقال العامل:

الجهل والفقر في أرجائها انتصبا

لم يبق في أرضنا حب نعانقه

تقترب الأغنام من الجبل، وتتسلقه بكل خفة ، تعرف طريقها جيداً ، تنادي صغارها التي تتقافز في مجموعات لاهية لاعبة، يقترب صوت نادي العامل أكثر، ها هو على صخرة في منتصف الجبل، نفس الألحان يرسلها كل يوم، ربما لعلمه بوجود من تشجيه هذه اللغة العالمية.



احتسيت ما بقي من الشاي، وعدت أنظر لهذه اللوحة الفنية من جديد، في طريق العودة مررت على العامل، سلمت عليه وشكرته، لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد.

قلت لعمي الطاعن في السن:

هل يمكن أن نلجأ للغربة مثلهم؟ أجاب:

كنا أسوأ منهم بكثير، كنا نتغرب لسنوات، عملت في (قندهار) وفي (بومبي) ووصلت إلى حدود (النيبال)، ما لم نشكر الله على هذه النعمة ونحافظ عليها ونخطط لأجيالنا القادمة، سنعود أسوأ مما كنا.





عبادات

أكره الحفلات العامة، التي تقام لمناسبات مختلفة، لما فيها من تبذير ومجاملات، لكن المنصب يحتم علي تلبية الكثير من الدعوات.

رغم تقليدي أكثر من منصب، رفضت الدعوات الخاصة، لتكاليفها الباهظة، دعاني صديق لمناسبة ترقيته، استقبلني والده المسن بكل الحب والتقدير، طار بي خيالي وتذكرت تلك المرأة التي دعتنا لبيتها في (مونري) (كاليفورنيا) وكيف أسعدت الجميع.

يقول صديقي الذي دعاني: هكذا والدي، لا يتصنع ولا يجامل، لديه فيض من الحب الذي صار جسراً يربط بينه وبين الناس، فأسعده وأسعد غيره. تذكرت وابنه يحدثني عنه كلمات رائعة لكاتب انجليزي، تقول: " الثورة الحقيقية هي ثورة المتفائل الذي يحيا ويموت ضمن محاولته اليائسة والانتحارية لإقناع الآخرين بطيبتهم".

لم يجلس على الكرسي في تلك الليلة ولو للحظة واحدة، بعد أن أقسم أن أجلس مكانه. سبحان الله كيف تتحول الابتسامة الصادقة إلى جواز سفر يلج قلوب الآخرين بكل هدوء؟ ، تظل الابتسامة الصادقة مصدر جلب للآخرين، كنيع صاف بين الصخور.

ظل هذا الشيخ يردد (يا هلا) بتناغم عجيب بين تعابير وجهه وإيماءة رأسه وحركات يديه. شكراً أيها الشيخ ، فقد ذكرت جميع الحاضرين بأهمية الابتسام، درس عملي دون تكلف أو نفاق.

كان ذلك الشيخ في عبادة استمرت لساعات، وزع خلالها الكثير من الصدقات ، أليس تبسمك في وجه أخيك صدقة؟، ليتك أيها الشيخ الجليل تلقي محاضرات ، ولا تقول في محاضرتك شيئاً سوى الوقوف أمام مشاهديك ليتذكروا سحر الابتسام.

متى يأتي يوم لا نقصر فيه العبادة على عبادات بعينها، بل نزرع ثقافة تجعل من العمل عبادة، والحب عبادة، والتعامل الراقي عبادة، ونشر الفضيلة بين الناس عبادة.

عبادة أخرى عشتها قبل عام:



ذهبت لزيارة مريض أقعده الكبر والمرض، كان ممدداً في ظل شجرة حديقة البيت يحيط به ابنه وأحفاده، قال هذا المريض: لا شيء كالصحة، لا يعرفها ويقدر قيمتها إلا من فقدها، هي أساس كل متعة. مساكين شباب وشابات هذا العصر ليتهم يسمعون ما يقوله هذا المريض من نصائح وحكم أفرزها المرض وأكدتها المعاناة، لعلهم يدوسون بأقدامهم على الكسل.

قدموا لي القهوة فقدمتها له أولاً، لكنه هز رأسه بعدم الرغبة، قلت له:

كنت أعرفك شارب قهوة إلى حد إيمانها، فماذا حدث؟

كنت أشربها خمس مرات في اليوم، تركتها بعد وفاة زوجتي، احتج رأسي وألح في طلبها، استتجد بالصداع علني أرق لحالي، لكنني أفنعتني بأن القهوة ذهبت مع رفيقة دربي ولا تصلح بدونها، قلت لرأسي: أنا وزوجتي كالأثافي، لا بد من ثلاث، وإلا سقط ما عليها، اليوم كما ترى، ذهبت كل المتع، وأنتظر الرحيل عسى الله أن يسهله ويقبل أعمالنا. ودعته وودعت ابنه وشددت على يده وقلت: عملك يدل على شهامة ومعدن أصيل وستجده أمامك إن شاء الله، هذا هو الدين المعاملة الحسنة لكل من حولنا.

ليت كل صاحب منصب، وكل صاحب أرصدة تنوء بها خزائن المصارف، أن يرى مثل هذه النماذج، ويتاح له زيارتها، وبعد خروجه مباشرة، يسأل: ماذا عملت لذلك اليوم الذي قد تكون فيه مثلهم؟ بماذا أسهمت من مالك لتجده أمامك؟

في بعض دول العالم الثالث، لو يتاح للمسؤول أو للتاجر أن يستولي على منشأة ويبيعها لما مانع في ذلك.

هناك خلل ما، وإلا كيف يكون الآخرون أكرم منا في دعم الجامعات والهيئات غير الربحية، مع أن أكثرهم لا يرجون الآخرة بالقدر الذي نرجوه؟ قد يكون ذلك راجعاً إلى حرصهم على الفعل أكثر من القول.

العمل الخيري بحاجة إلى دراسة وجهد مؤسس على حقائق، وتؤكد من أن المال لن يصرف في غير ما صرف له، المساعدة بالمال قد تعود على الكسل، وقد تصبح عادة يستحسنها ويستسهلها الفقير، وقد يصرفها فيما يضره ويضر بالآخرين، وقد تكون سبباً في بعده عن أطفاله وتخليه عنهم وتركهم للضياع.





محاضرة عن الارهاب

اتصل بي المسؤول عن المحاضرات في كلية القيادة والأركان السعودية ودعاني لإلقاء محاضرة عن الإرهاب ، رحبت بالدعوة وشكرتهم وشرطي الوحيد أن أعطى وقتاً للإعداد.

بدأت بجمع عناصر المحاضرة والمراجع ، واستخلاص المعلومات لمدة ثلاثة أشهر ، لا يوجد اتفاق على تعريف الإرهاب ركزت في محاضرتي عن أسبابه وطرق مكافحته وهناك أسباب داخلية وخارجية .

من أهم أسبابه الداخلية إهمال الوالدين لتربية أبنائهم ، وانتشار الغلو وغياب التسامح ، وما يتعلمه الصغار في بعض المدارس والمناشط ، وتلك الفتاوى والوعود بالجنة والحرور بعد أداء المهمة مباشرة هناك عوامل داخلية مساعدة كالفشل والفقر والجهل و الفساد والبطالة واختفاء الطبقة المتوسطة .

هناك عوامل خارجية بدأت بالاستعمار وما خلفته من مظالم تتجرّع نتائجها الشعوب و ما خلفته الانقلابات من مأس ، ومصادرة الحريات وفشل على جميع المستويات ، مما أتاح للأحزاب الدينية المتشددة أن تبرز وتقدم البدائل ، ومنها تشجيع الشباب على الموت ، إذ يقال لهم : هذا هو الجهاد ولم يقولو لهم : إن كثيراً مما يجري في هذا العالم هو صراع بين الأقوياء .

ركزت في محاضرتي على الحلول و من أهمها :

إعادة النظر بمهمة ورسالة التعليم وتنقية المناهج

النهوض بكادر التعليم واختبار المعلم

-النهوض بالمستوى الاقتصادي ومحاربة الفساد بأنواعه ، وإيجاد وظائف للشباب، وشنّ حرب على الفقر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء)) فقيل له : ما جهد البلاء يا رسول الله ؟ فقال : ((قلّة المال وكثرة العيال)) -زيادة أعداد الطبقة المتوسطة لنجرّد الإرهاب من أسلحته ، علينا أن نقضي على أسبابه . ضربت لهم مثلاً (التأميل) في (سري لانكا) التي زرتها واطلعت على أهم أسباب قيام تلك الحركة ، وهو شعور (التأميل) بالظلم والإقصاء من قبل الغالبية وهم (السنهاليون) بعد أن انسحب الاستعمار وتركهم يتصارعون .

أجبت عن الأسئلة وتجاوب الطلبة بشكل ممتاز ، وعند توزيع الاستبانة على الطلبة عن مدى رضاهم عن المحاضرة ، حزت نسبة عالية وطلبوا دعوتي لإلقاء محاضرة في العام القادم.



القضاء على الإرهاب مهمة الجميع ، وأهمهم الأب والأم والمعلم والإعلامي وإمام المسجد . الطفل إن أحسنت تربيته وتعليمه صار من أهم مشاريع البناء. وإن أهملته وأسأت معاملته تحول إلى معول هدم وتخريب.

لم يكن جميع الطلبة راضين عما جاء في المحاضرة لكنني أوّمن بأن كثيراً من

نقائصنا يمكن معالجتها بالتعليم الجيد ، بدءاً بحسن اختيار المعلم وحسن إعداده ، ثم المنهج المعد بكل احتراف . عنصر آخر مهم هو حسن اختيار المسؤول.

بقيت في الاستخبارات عامين وتصفياً بين عامي (1999 - 2002) . وسرعان ما علمت عن قرب نقلي لكلية الملك فيصل الجوية.





عودة للبداية

انتقلت إلى كلية الملك فيصل الجوية غادرتها ملازماً وعدت إليها برتبة لواء في عام 2002 ثلاثون عاماً تشكّل أكثر من نصف عمري .

أبلغني قائد قوات الفريق عبدالعزيز هنيدي عن اختياري قائداً للكلية لعدة اعتبارات . شكرته على هذه الثقة ووعدته على بذل الجهد لا مانع لدي أن أعود إلى الميدان ، وأفضل أن يكون العمل في مدينة الرياض لأكون قريباً من والدتي التي تزداد حالتها سوءاً وتعاني من تقدّم السنّ والمرض المزمن . هي لا تؤمن بالشلل والرعاش وتعزو مرضها لأسباب أخرى تقول : إن ما أصابها مس من الجنّ أو شيطان لا يخاف الله . خيال رحب ، قد تكون دعاية منها للتخلص من الاعتراف بالمرض . قبل المرض لم تعترف بوجود الخادمت ، وبعد مرضها تقبلت الخادمة على مضض وعادت تبحث عن عذر للتخلص منها . في الأشهر الأولى في الكلية ، بدأت بجولات على الأقسام وأخذت إجازاً عن كل قسم ، لقد تغير كل شيء .

ما مهمة الكلية ؟ وهل أخذت حقها من الاهتمام ؟ أهم ما في الكلية هو عنصر واحد ، هو الطالب ، ومنه تنبثق مهمة الكلية وواجباتها .

لدى رؤساء الأقسام حاسة شَمّ قوية لما يريد القائد ، في أول اجتماع لي معهم شكرتهم على التعاون معي ، قلت لهم سنعمل فريقاً واحداً ، سنبدأ من اليوم بالتطوير والتغيير ، سيكون الطالب مركز اهتمامنا . سيكون للانضباط أهمية قصوى ، أريد من الطالب أن يرفع رأسه ويتحدّث بكلّ ثقة .

لم تكن المهمة يسيرة ، علينا أن نحدد الأولويات والعوائق ، بعدها نشكّل فرق العمل . تطوع الكثير من الضباط وأعضاء هيئة التدريس ، لتقديم النصح .

معظمهم فرح بالتطوير وتحمس له ، ميزة البيئة العسكرية سهولة التغيير .

هناك ثلاث فرق سبق أن طلبت لتقييم الكلية من دول متقدمة وكانت الكلية بحاجة إلى التقييم حيث إنها المرة الأولى .

استُعين بأعضاء هيئة التدريس في تصميم الاستبيانات لمعرفة نقاط القوة والضعف ، بادئين بالطلبة وما يؤثر على روحهم المعنوية ويحد من تحصيلهم ، ومن أجلها يتخذ المسؤول قراره على أسس علمية .



لابد من التركيز في صرف المال على مصلحة الطالب قبل غيره ، هناك حاجة لتحسين أثاث غرف الطلبة ، استبدالنا الأرضيات بلاطاً وغيرنا أثاث الاستراحات و جهزت بوسائل الترفيه وبعض الكتب ، وأرسلت الجرائد يومياً ، واشترك ثلاثين عدداً من مجلة المعرفة . شيء بسيط له معانٍ كبيرة .

في الدول المتقدمة للرياضة شأن كبير ، فما بال الملاعب لدينا قليلة ؟ أهمل القادة الرياضة ، أكدت على كل ضابط لديه زيادة في الوزن أن يبدأ بإنقاصه ، ضوعف عدد الملاعب وأعيد ترميم المسبح وحول أحد المستودعات إلى صالة رياضة للأثقال واللياقة البدنية ، صارت هناك ثلاث حصص في الأسبوع للرياضة .

يتفنن ضباط الصف القدامى في تذكر الأهازيج وترديدها ، وخاصة في دورات الصاعقة والمضلات . عندما تبدأ الأهازيج يتراكم الجميع إلى الطابور وينتظمون فيه .

هذه شريحة بسيطة فكيف من تضيق بهم الشوارع والبيوت ؟ أين دور التعليم والأندية في تأصيل الرياضة حتى تصبح عادة ؟ من يرشد النساء من مصائب السمرة ؟ أليست مأساة أن تمنع الرياضة في مدارس البنات ؟

زارني أحد المستفيدين من الرياضة وسألني : هل فكرت في كل تلك الفوائد عندما قررت رياضة الصباح ؟

يقول ذلك الشخص كنت مريضاً فشفيت ، وكنت لا أنام جيداً . وكادت زوجتي أن تئأس من فارسها و إذا الدماء تجري في عروقي من جديد كنا نراك في المقدمة فتسري بيننا الحماسة .

طلبت من قائد جناح الطلبة تنظيم سباق صاخبه ، وأخبرتهم أنني سأشارك مع الطلبة ، انطلقت الصافرة وكنت في المؤخرة بعد مدة تركت بعض الطلبة ورائي ، اللياقة ليست على ما يرام .

لابد من جزاء جماعي ، لن يخرج الطلبة في نهاية الأسبوع وسيعاد السباق بعد شهر .

وجدت القوانين لتحترم . اتصل قائد القوات ليقول لي : إن أحد الآباء جاء من جنوب المملكة ليرى ابنه ، لكن لن يراه خارج الكلية لأنه موقوف مع بقية الطلبة ، لذا أرجو أن ترتب الأمر . شكرت قائد القوات على تواضعه واحترامه للأنظمة ، ورتبت للأب موعداً ليرى ابنه .

بعد شهر نظم سباق جديد للطلبة وشاركتهم مرة أخرى ، انطلق الطلبة كالغزلان بخفة ونشاط ، وصلت متأخراً قليلاً لكنني مسرور جداً وكافأت الطلبة بإعفائهم من كل جزاء ذلك الأسبوع فالتشاب يكتسب اللياقة سريعاً أما الكبير فبحاجة إلى جهد مضاعف

كان الطلبة من مناطق ومن أسر مختلفة ، لكن النظام يسري على الجميع ، لا يمكن التمييز بينهم على أي أساس ، سوى الأقدمية ودرجات التحصيل العلمي والانضباط .

النظام كما قال ذلك القائد كالبالون ، لو خرق انتهى إلى قطع تداس به الأقدام .





الزيارة الأولى

جاءت دعوة لزيارة كلية (كرانول) الجوية في بريطانيا ، جلست مع الضابط البريطاني ، قلت للضابط : أريد أن أرى الطلبة في الميدان ، أريد أن أعيش مع الطلبة وأرى كيف يتدربون وكيف تعاملونهم أخذت معي قادة أجنحة الطلبة والطيران والتعليم . اجتمعت بهم وطلبت المشاركة في النشاطات. بدأنا أول يوم بمركز القبول، على كل متقدم ان يمضي أربعة أيام في اختبارات مختلفة ، تبدأ بالكشف الطبي ثم مقابلة ثم تمارين لمعرفة المزيد عن المتقدم .

يقولون : من أهم عوامل نجاح القوات نظام القبول ، هناك مقاييس اختبار و قبول لكل نشاط وتخصص .. في اليوم الثاني أخذنا إيجازاً عن الدراسة بالكلية ، يقضي الطلبة 70 في المئة من أوقاتهم خارج الفصل ، في الفصل يأخذون محاضرات عن القوات الجوية بشكل خاص والقوات المسلحة بشكل عام ، ويطبقون ما تعلموه في الميدان ، . في رحلتين بعيدتين خارج بريطانيا، مدة الأولى أسبوع والثانية أسبوعان ، يذهبون لأبعد مكان في العالم ، أستراليا وأمريكا الجنوبية والشمالية

اليوم الثالث حضرنا تمريناً حياً في أحد الميادين ، وهو عبارة عن غابة كبيرة بتضاريس مختلفة ، يعيش فيها الطلبة يومين ، شباب مرفه أولاد وبنات ، بأعمار مختلفة ، ولكنهم أثناء التدريب يتحولون الى عنصر آخر من البشر. شاركت ورفاقي إحدى المجموعات في تمرينها من البداية للنهاية قرابة ساعة ، ركضنا معهم بين الأشجار والمستنقعات ، حضرنا ايجاز ما بعد المهمة أعجبت بجدية التنفيذ ، لا مجال للمجاملة والنفاق ، ذكرو كل الأخطاء رسب القائد في مهمته ، فلا نجاح إلا بتمرين جادة على كل المستويات ، تناولنا الغداء وعدنا الى السكن في اليوم الرابع حضرنا تمريناً لمجموعة أخرى . كان يمثل قوة لحفظ السلام في منطقة خطيرة .

أكثر ما أعجبنى حماسة المدرسين والمدربين. يعرفون صفات كل طالب ويتابعونهم . كان أسبوعاً ناجحاً ومفيداً على أكثر من مستوى

سألت قائد كلية (كرانول) الجوية خلال الغداء : كيف تختارون الضباط ؟ وكيف تدربونهم ؟ فقال نختار أفضل الضباط من تخصصات مختلفة ، يخدمون ثلاث سنوات فقط ، يعودون بعدها الى الميدان ، نعطيهم دورة مكثفة عن القيادة والتدريب مدتها خمسة أسابيع.



طلبت منه بعض المقاعد لإرسال بعض ضباطنا لاحقاً وتم ذلك ، والتحق أربعة ضباط بتلك الدورة . حاولت إيجاد دورة مماثلة داخل المملكة بمساعدة البريطانيين لكنهم اعتذروا لنقص العدد من المدربين ، ظلت تلك الدورة حلماً يراودني.

قال لي قائد جناح الطلبة : ما رأيته لا يمثل سوى شيء بسيط مما في أكاديمية

القوات الجوية الأمريكية تدريب يجمع بين العلم والعسكرية كليتهم واحدة من أقوى عشر جامعات في أمريكا ، ومنها يتخرج أفضل قادة القوات الجوية . وتحتل كليتهم مساحة من أفضل المناطق في ولاية (كولورادو)

ما ينطبق على الكليات العسكرية ينطبق على المؤسسات الأخرى من جامعات وشركات عملاقة ، وقطاع عام وخاص.

التقدم لا يكتسب بالشهادات العالية لكنها ثقافة النقل والمحاكاة بمحاولات فردية ، من أهم صفاتهم حسن الإعداد في المنزل والمدرسة والجامعة ، ثم حب للعمل وعشق للتميز.

كتب أحد الضباط الصغار من القوات الجوية الأمريكية تقريراً ينتقد فيه رئيسه الذي برتبة لواء ، عن سوء استخدامه للسلطات . تم التحرّي والتأكد ، وتمت محاكمة اللواء وإحالاته للتقاعد مع حذف رتبتين من رتبته العسكرية ، تقاعد برتبة عقيد ليكون عبرة لغيره

لا يوجد مجتمع مثالي لمجرد حسن النية أو التدبّر ، بل سلطات يراقب بعضها بعضاً ، وصحافة ، وسوء استخدام السلطة ، وقضاء مستقل نزيه لا يخاف لومة لائم

الإنسان ليس معصوماً من الخطأ لو وجد الفرصة وغابت الرقابة وأمن العقاب

قامت إحدى الجامعات في أمريكا بتجربة عملية عن سلوك الإنسان ، اختاروا ذكوراً وإناثاً ، مجموعتين ، نصفهم يمثلون سجناء ، والنصف الآخر مسؤولون عن السجن والسجناء ، وتركوهم دون رقابة ، أوقفت التجربة بعد أسبوع ، لكثرة التجاوزات من المجموعة الثانية القائمة على السجن ، وصلت إلى حد الاعتداء البدني والجنسي على المساجين ، خلاصتها أن الإنسان كما هو بحاجة إلى دعم وتشجيع ، بحاجة إلى مراقبة وردع عن الظلم ، نتائج سبق أن قررها أبو الطيب المتنبي في بيته المشهور والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم.





التغيير والتطوير

عدنا من مهمتنا واستمر التغيير والتطوير بوتيرة أسرع قلت لمنسوبي الكلية : علينا أن نبدأ بالأبسط . لنبدأ بجناح الطلبة . نُقل عدد كبير من الضباط واستبدل بهم غيرهم من صغار الرتب وأكدت منع كل ما يسيء للطلاب أو يقلل من قيمته و لقد كان هناك دعم واضح من القيادة .

أكثر التغيرات صعوبة هي تطوير وتغيير المناهج . استعين بمعهد الملك عبدالله التابع لجامعة الملك سعود طلبوا مبالغ لا تتوافر في صندوق الكلية فتم تدبيرها من القيادة لكن ذلك أخذ وقتاً . مدة العقد سنتان تقاعدت قبل إكمالها

ليتم التطوير لا بد من معرفة نقاط الضعف و القوة لن يقتصر التطوير على المناهج ، بل يشمل جناح الطيران ، وبيئة الطلبة ، والعسكرية والرياضة أرسلت فرق التطوير إلى القواعد لمعرفة مدى رضا القادة عن المنتج ، وأخذ رأي الضباط أرسل عضو هيئة تدريس إلى (أكاديمية القوات الجوية في أمريكا) و(كلية إمري ردل) المتخصصة بالعلوم الجوية والطيران .

أصعب تطوير هو ما يتعلق بالثقافة والتعليم ، وخاصة الثقافة الإسلامية بعض أعضاء هيئة التدريس يرونها إعادة لما أخذ في مراحل التعليم ، وأنا أراها في تعزيز مهمة الكلية ، وبناء الفرد عقلياً وبدنياً ، وتأسيس القيم ومكارم الأخلاق . أسوأ أنواع المعارضة أنت ممن لم يعايشوا الكلية ، وليس لهم اهتمامات أكاديمية لا توجد زيارات خارجية للطلبة ، تقرر أن تكون مرتين في السنة .

أهم مراحل الطالب فترة (الاستجداد) وهي الخمسة والأربعون يوماً الأولى ،التي لا يخرج فيها الطالب من الكلية ، يتعلم الطالب إضافة للأمور العسكرية والرياضة ، مهارات الاتصال والتعاون والتفكير المنطقي.

أحسن عادة يمكن تعلمها القراءة ، وضعت دورات وجوائز في القراءة السريعة ، وخصص أسبوع لمعرض الكتاب واختيار و دعوة المحاضرين ، دعي فضيلة مفتي المملكة ليعطي محاضرة قيّمة عن العبادة ومخافة الله ، ويجب على أسئلة الطلبة ودعي معالي الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية الذي قدم محاضرة تنم عن غزارة العلم وبعد النظر . كما دعي الأستاذ إبراهيم البليهي ، قال للطلبة : لا يوجد هواية أمتع من القراءة.

ولأهمية القراءة أسست مكتبة صغيرة في كل غرفة استراحة ، وكان هناك مجلة باسم (القرناس) يصدرها الطلبة ، وصرت أكتب بها في كل عدد.



أسوأ العادات التدخين ، ولمحاربة هذه العادة نسّق مع عيادة مكافحة التدخين ووضعت جوائز لتركه ، وعقوبات صارمة لمن يدخن داخل الكلية ، قلّت النسبة لكن الآفة بقيت ، غير أن المهمة في محاربتها لم تفتر فقد دُعي محاضر من مستشفى الملك فيصل التخصصي ، وهو طبيب متخصص بالأورام السرطانية ، لم تقتصر محاضراته على التدخين بل تعدتها إلى المسكرات والمخدرات والأمراض الجنسية ، ذكر قصصاً واقعية عايشها .





ثقافة الوحدة

لينجح أي تغيير لابد من تغيير ثقافة المؤسسة و أصعب ما يواجه كل طامح للتغيير تلك الموروثات التي ما أنزل الله بها من سلطان . هناك مفاهيم خاطئة تتحكم في المجتمع وتشل قدراته .

كتبت عن التراث في مجلة الطلبة (القرناس) التي يحبها الطلبة ويقرأونها ، كتبت مقالات على شكل قصّة مشوقة يتابعها الطلبة في كلّ عدد ، والقصة تحكي عن سفينة مبحرة وبداخلها عدد من الركاب مختلفي المشارب والثقافات . وقسمتهم أربع مجموعات : المجموعة الأولى غارقة في غيّها تمارس شتى أنواع اللهو . وتشير المشاكل ، يدخلون بشراة ويلحقون النساء ويجاهرون بما يفعلون ، يقضون ليلهم بالرقص والمجون ونهارهم بالنوم.

والمجموعة الثانية شباب يكثرون من قراءة الكتب التي تبقيهم على قناعاتهم ، غير مقتنعين بما يجري في السفينة ، ويحاولون السيطرة عليها ، ويعترضون على كل ما يعرض في السفينة من أنشطة ترفيهية.

وفي السفينة شاب اصطحب معه جدّه ، يأخذه أينما ذهب ، ولو غاب الشاب لصاح الشيخ يناديه . هذا الشاب لا يسمع له صوت ولا رأي ، يخاف من البحر والليل ، ويحن لبيته وقريته دائماً

هناك شاب آخر كلّه حيوية ونشاط ، تبدو عليه علامات الصحة والاستقرار المادي والعاطفي ، يمارس الرياضة والقراءة ، ويشارك في مناسبات السفينة المختلفة ، يجلس قبل الغروب مستمتعاً بمراى الشمس ، ثم ينهض لصلاة المغرب ، يناجي القمر في الليالي المقمرة ، لديه خيال رحب ، يستيقظ مبكراً مستقبلاً الشروق وبيده قهوة الصباح ، له أمنيات كثيرة ، يؤمن بثقافة السلام لا ثقافة العنف ، لديه قدرة على الحوار ، وقدرة على قبول الاختلاف.

وهكذا تبحر السفينة بسكانها المختلفين المتنافرين.

وفي العدد الثاني من النشرة ترسو السفينة في أحد الموانئ للتزود بالوقود والمؤن . في المدينة تتصرف كل مجموعة بحسب قناعاتها وثقافتها ، فهؤلاء يذهبون إلى الحانات ، والمجموعة الثانية نائمة لا تدري ماذا تعمل ، وأما الثالث فيبقى بالسفينة يخشى مغادرتها ولا يسمح له جدّه ، وأما الرابع فيستمتع بما في المدينة ، معه خارطة لأماكن السياحة ، وفي المساء بعد العودة للسفينة يبدو الفرق واضحاً على وجوههم.

وتستمر السفينة في الإبحار إلى أن تتوقف ، لتقاعد قبطانها وانتظار قبطان آخر .



للتغير ثقافة الوحدة صرت قريباً من منسوبي الكلية ، ألتقي بالمستجدين مرتين خلال خمسة وأربعين يوماً ، أحدثهم عن القوات الجوية ومميزاتها وعن الانضباط وأهميته ، المقاتل يقوم بمهمات لا يقوم بها غيره . أحذرهم من العادات السيئة كالتدخين وسوء

الخلق ، وأحذرهم من العنصرية ، أقول لهم : الأوطان لا تبني على حب القبيلة

أو المنطقة أو المذهب بل على الوطن بكل أطيافه ، وأحذرهم من الغلو وما يجلب من انغلاق ووأد للفكر ، أحبب لهم الاعتدال والتسامح والتعاون لإنجاز المهمات ، أحبب لهم القراءة ، أحبب لهم الرياضة ، والاعتدال في المأكل والمشرب ، والنوم مبكراً أقول لهم : الحياة الناجحة السعيدة بحاجة لتخطيط وانضباط

أجتمع مرتين مع الطلبة الذين هم على وشك التخرج ويقودون زملائهم الطلبة ، أحثهم على العدل بين زملائهم من غير تحيز أو ظلم أورد لهم قصة عن الحكيم (كونفوشيوس) تقول : إنه مرّ على قرية ورأى امرأة تبكي زوجها الذي أكله النمر ، وقبل فترة أكل النمر ولدها ، فتعجب الحكيم منها وقال : لماذا لا تغادرين هذه الأرض التي يفترس فيها النمر البشر ؟ أجابت : لأن فيها حكومة عادلة . التفت الحكيم إلى تلاميذه وقال : إن الحكومة الظالمة أشد خطراً على البشرية من النمر

ولا أمل من تذكيرهم بمساوئ التدخين ، والحث على الرياضة . وفي آخر لقاء مع الخريجين أحثهم على الانضباط الذاتي حيث لا رقيب سوى الله ثم أنفسهم ، وعلى الاستقامة وعدم الاسراف ، وأهمية التوفير وحسن اختيار الزوجة ، ورسم أهداف بعيدة لي لقاءات مع عموم طلبة الكلية شهرياً ، أحدثت عن أي جديد في التطوير ، وأذكرهم وأعدد ما أنجزوه من تحصيل ، وينتهي اللقاء بعشاء على المسبح أو في النادي.

حاول أحدهم ثنيي عن لقاء الطلبة كثيراً . قلت له لن أؤدي رسالتي من داخل مكتبي، أو من خلال التعاميم فقط ، ولن أفقد هيبتي ، بل سأزداد تأثيراً وحباً طالما أن الهدف سام ونبل.





الأهداف وأهميتها

أؤمن أن وضع الأهداف من أهم المحفزات للإنجاز ، وقد استعنت بها في معظم حياتي ، أطلب من أبنائي وبناتي أن يرسموا أهدافاً قصيرة وأهدافاً بعيدة
أشبه الهدف بقبس يهتدي إليه السائر في الليل وقد ثبت من الدراسات الكثيرة أن من يرسم الأهداف يصبح أكثر فاعلية ونجاحاً و أقل تعرضاً لمخاطر الفشل .
طلبت من طلبة الكلية وضع أهداف ، شرحت لهم شروطها وهي أن تكون معقولة وقابلة للتطبيق والقياس وفي وقت محدد ، طلبت من المستجدين أن يكتبوا أهدافاً يرغبون في تحقيقها خلال الخمسة والأربعين يوماً، وطلبت من طلبة النهائي أن يضعوا أهدافاً ، تعلن للجميع . كان من أهم الأهداف ، القضاء على السلبيات وتحقيق إنجازات بالرياضة والتعليم ، أكثرهم لم يسمع برسم الأهداف و بعضهم يضع أهدافاً لا يمكن قياسها و كان هدفي إعطائهم درسا في القيادة و الإدارة بالأهداف.





الذكاء العاطفي

تذكرت مناسبة خرج فيها طلبة الكلية إلى مزرعة قريبة من الرياض حين كنت طالباً ، رغم بساطة تلك الرحلة ، ظلت أذكرها ، لم يكن في تلك الرحلة نشاطات سوى الجلوس ولعب الورق والسير بين النخيل ، لكن لفئة جميلة قدرتها من القيادة ، لذا حرصت منذ العام الأول لتسلمي القيادة على تنظيم رحلة برية ليوم كامل يتخلله الكثير من النشاطات واللعب ، وأدخلنا عليه فن العرضة و الخطوة من الجنوب .

قبل كل تخرج يقام نشاط ثقافي ، حرصت على استمراره وتطويره .
ألقي في الحفل كلمة أعدها بكلّ عناية أظللّ أعدها وأكتبها أسبوعاً كاملاً لأوصل رسائل للطلبة ورسائل للحضور وخاصة قائد القوات الذي يحرص على الحضور .

في المسرح يشارك الطلبة في تقديم فقرات ، وتبقى واحدة من الذكريات الجميلة لأيام الكلية . المسرح من أرقى الفنون في لقاءات مع أعضاء هيئة التدريس ، من حملة الدكتوراه والماجستير . أعدّ في بداية اللقاء إيجازاً أشرح فيه سياسة الكلية وما تشهده من تطوير وتغيير ، أساتذة الجامعات هم من أفضل شرائح المجتمع وألمع العقول . اختيروا من بين الطلبة الذين تخرجوا بتقديرات عالية ، لا يستفاد من المتميزين منهم ، والاستفادة من خبراتهم لدفع البلد لنادي الدول المتقدمة ولكن هناك للأسف أساتذة ظنوا أن العلم قد انتهى بحصولهم على الشهادة و الوظيفة فلا يجهدون نفسه في البحث .

في أحد اللقاءات ، شرحت لهم سياسة الكلية الجديدة : إحلال سياسة الحبّ و اللّين والتّقدير ، إلى جانب الجزاءات والشّدّة إذا لزم الأمر ، أطلعهم على إيجاز أعدته وعنوانه (الذكاء العاطفي ، الجناح المعطل) .

شرحت لهم ماذا أعني بالذكاء العاطفي وقلت : إنها مجموعة العواطف والأحاسيس والحدس والشعور للإنسان تجاه نفسه وتجاه الآخرين .

قلت لهم : وهبنا الله العقل والقلب ، ومثلما لا يطير الطائر الا بجناحين فلن يحلق القائد أو الاداري الناجح إلا بجناحين : جناح الرحمة والحب وجناح الذكاء والخبرة .

لقد أهملنا في حياتنا ومدارسنا أحد الأجنحة . قلت لهم : أفضل القادة وأنجحهم ، على مستوى العالم ، من يمتاز بالذكاء العاطفي ، بصرف النظر عن مهمات مؤسسته ونشاطاتها .

قال أحد الأساتذة القدامى : الطالب لا تنفع معه إلا الشّدّة .



قلت له : أقبل هذه الملاحظة من عسكري أتى لتوه من الميدان ، لكن لا أقبلها من مربٍّ أمضى في الكلية عشرات السنين ، هل جربت الحب والعطف والاحترام معهم ؟

-لم تنجح.

-كم كانت مدّة التجربة؟

-استمرت أكثر من ستة أشهر.

-هل تعتقد بأن ستة أشهر كافية؟

مشكلتنا أننا نستعجل النتائج ، للقضاء على عادة وإحلال عادة أخرى مكانها.

العادات السيئة كالأظافر المصابة ، لا تزول إلا بدفعها من أطافر سليمة . علينا أن نقرأ سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لنعرف كم ظلّ يدعو ، وكيف كانت الدعوة رحمة ، كيف عاتب القرآن الكريم الرسول عندما عبس في وجه أعمى . للطالب أحاسيس ومشاعر.

من تذكرون من مدرسيكم السابقين بالخير ؟ هل تذكرون ذلك المتأبط للغضب أم تذكرون ذلك الرحيم المبتسم ؟

لماذا نضع قلوبنا جانباً ونعمل العقل فقط ؟ ألا ترون أن القلب بما يحمله هو ما ينقصنا ، ليس في الكلية فقط بل في البيت والشارع ومع أنفسنا ؟ لماذا لانخلق بيئة تسودها المحبة والثقة ، كيف نحيل أمكنة العمل إلى ميادين تعاون ومحبة وتسامح بدلاً من أماكن المشاحنات والشكاوى والدسائس ؟

نحتاج صبراً ومتابعة وأدوات قياس لمعرفة مدى المتقدم . لا تقدم إلا بقياس ومقارنة ، ليس هناك أفضل من الأكاديميين لإجرائها تركتهم لاجتماع قادم مقرر كلّ شهرين أحرص على حضوره والتحضير له بكلّ عناية .





التفكير المرن وأهمية الحوار

اجتمعت ثانية مع المدرّسين لأتحدث عن أهمية تزويد الطلبة بأساليب التفكير المرن وأدب الحوار . قلت لهم : التفكير المرن من أهم أسباب التفكير العلمي الذي كان من أهم أسباب الإنجازات البشرية ، علينا أن نعلّمه للطلبة لأنه سلوك مكتسب ، ويعني التفكير المرن أن ما يزخر به العلم من حقائق وقواعد ليست مطلقة و أن البحث مستمر عن كل جديد المرونة تعني نبذ الغلو والتطرف ومعرفة خطرهما على الأمة ، بل على العالم أجمع .

الفكر المرن يعني الاجتهاد الذي هو واحد من مصادر التشريع ، وهو ضرورة لكل عصر ، فالحياة بنيت على الحركة والتغيير وليس الجمود والاجتهاد واحد من أسرار بقاء الدين .

وعن الحوار قلت لهم :

الحوار يفتح بيننا وبين الآخرين نوافذ وأبواباً ، أن نحاوّر يعني سماع وجهة نظر الآخرين ، الحوار يعني بناء جسور بيننا وبين الآخرين ، الحوار يعني أن المجتمع يتمتع بالصحة الفكرية ، أسوأ أعداء الحوار الإكراه الفكري ونعت المخالف بأنه صاحب نيات سيئة .

لولا اختلاف الآراء لأصبح الناس نسخاً مكرره يتزاحمون على نفس الهدف ، ولتوقفت العقول عن الانتاج .
الله حكمة لا نحيط بها من هذا الاختلاف في الدين واللغة والشكل والطبائع والأذواق ، يقول تعالى { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين } [هود / 118] .

من أجمل ما قيل في مبدأ الحوار ما قاله الشافعي رضي الله عنه : ((رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب)) وما قاله ابن تيمية رحمه الله : ((العلماء يخطئ بعضهم بعضاً ، والمبتدعة يكفر بعضهم بعضاً)) . ويقول المفكر الفرنسي فولتير : ((قد أكون ضد رأيك حتى الموت ، ولكنني أدافع عن حقك في أن تقول حتى الموت))





الثروة المهملة

اجتمعت بعموم الكلية، طلبة وضباطاً ومدرسين، ذات مساء جميل، وبدأت إيجازي برسم لجبل جليد الشكل رقم (١) هذا الجبل لا يظهر منه سوى 30 في المئة فقط. والباقي تغطية مياه المحيط .



الشكل رقم (١) القدرات البشرية
المصدر: Alan hooper and John potter

- بماذا يذكركم هذا الجبل؟

وبدون أن أنتظر الجواب، بدأت محاضرتي القصيرة: هذا الجبل يمثل ما لدينا من قدرات تمامًا نحيا ونموت وجل قدراتنا ومواهبنا مغمورة يغطيها الكسل والجمود والبرمجة الخاطئة . كم من مالمين النوابع من مخترعين وفنانين وأدباء جاؤوا إلى هذه الحياة وغادروا من دون أن يتاح لمواهبهم أن تبرز!

هذا الجبل يوضح أن من في هذه القاعة من كفاءات، لا تعمل إلا بثلاث إمكاناتها . آخذين في عين الاعتبار أن هذا الرسم أخذ من مصدر غربي+ لديهم إنتاجية أعلى من إنتاجية العالم الثالث بكثير،

مما يعني أنه من الأفضل أن نرسم جبلا في الصحراء لا يبدو منه سوى 10 في المئة . لدينا إمكانات بدنية وعقلية وعاطفية وروحانية يمكن تطويرها، ولنتيح لتلك الإمكانيات أن تنمو وتتطور علينا أن نضع الرجل المناسب على رأس كل مؤسسة نرغب



في تطويرها خاصة المؤسسات التربوية والعلمية وعلينا أن نواصل التغيير ولا نخاف منه، والتطوير يكون بالاستفادة ممن سبقونا، وأن تكون المؤسسات مكاناً يسوده الحث وحسن والمعاملة، وكل مسؤول هو قدوة ورحمة لمن هم تحت إدارته .

قال أحد الطلبة: لكن من سبقونا قسوا علينا لمصلحتنا، وعلينا أن نقسو على من بعدنا لمصلحتهم وإلا صارت الطاعة التي هي أساس العسكرية محل نقاش أجبته :

ليس كل ما طبقه من قبلنا هو الصحيح وإلا لما تقدمت أمم وتأخرت أخرى، أعظم معارضة قابلها النبي : كانت من أولئك المتشبهين بماضيهم، ليقولوا له إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» كل طاعة مصدرها الخوف تنتهي نريد طاعة مصدرها الاعتزاز بما نعمل وتؤكدنا القيم والإيمان لتستمر الطاعة حتى مع عدم وجود رقيب .

الدول المتقدمة من أكثر الدول قسوة على من يخالف النظام لا يمكن أن يتساهلوا مع الكذب والغش والسرقات لكنهم من أكثر الناس تشجيعاً ، وتقديراً للمنتج والمبدع

السلام والرحمة هما شعارنا وما تقابل بهما الناس نقولهما صباحاً ومساءً ألا يستحق زميلك وصديقك وأهل بيتك ذلك؟

لتوضيح إبراز القدرات الكامنة ضربت لهم مثال كان يردده الرئيس الأمريكي (ابراهيم لتكولن): عن ضفدع علق في وحل في طريق العربات، حاولت بقية الضفادع مساعدته وتشجيعه على الخروج من الوحل لكنه حاول كثيراً ولم يستطع، يأس من خروجه وتركته ليوافه مصيره وحيداً. بعد يومين رأيت ذلك الضفدع مستمتعاً بأشعة الشمس الذهبية على بساط من العشب، سألته كيف استطعت الخروج من الوحل؟ أجاب: حاولت ولم أستطع، لكن جاءت عربة مسرعة كادت تدهسنني، فقفزت خارج الوحل مستخدماً كل قواي من دون شعور. استخدم ذلك الضفدع قدراته الكامنة عندما رأى الموت أمامه، لن نخرج من وحل التخلف إلا باستخدام كامل إمكاناتنا وقدراتنا الكامنة .

في اجتماع آخر مع رؤساء الأقسام شرحت لهم أهمية التغيير وخاصة لمن أمضى فترة طويلة في نفس المكان وجفت عنده جداول العطاء: وتسلل السأم والملل إلى حياته، أوردت لهم دراسة

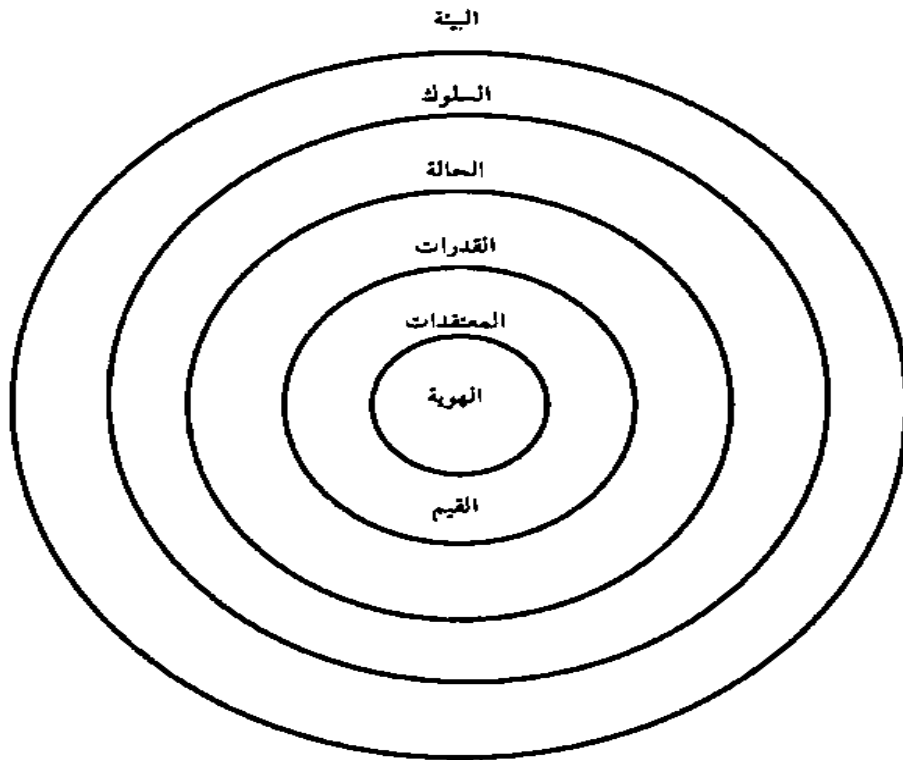
عن ضفدع آخر لم يحالفه الحظ هذه المرة لينجو ذلك أن الخطر جاءه على مهل، وتقول الدراسة: إنه لو وضع ضفدع في إناء به ماء حرارته مناسبة، ثم رفعت حرارة الماء تدريجياً وببطء حتى الغليان ، ل بقي ذلك المسكين في مكانه مستمتعاً بالحرارة حتى يغلي الماء ومعها يغلي دمه ويموت . التفت لأحد الحضور وكان من المعمرين في الكلية وصاحب نكتة.

وسألته : كم مضى لك في الكلية؟

أجاب : أكثر مما بقي ذلك الضفدع المسكين في الماء.

لينجح التغيير لابد من الغوص في عمق المشكلة ومعرفة العوائق وأسبابها، والدوافع والحوافز وكيفية مضاعفتها، وجدت في كتاب بعنوان القيادة الذكية يتحدث الكاتبان عما يؤثر في سلوك الإنسان وتصرفاته وما يؤثر في معنوياته ومن ثم في بيئة عمله ،

ويوردان لذلك رسماً على شكل خمس دوائر (الشكل رقم 2)،



الشكل رقم (2)

The business of leadership
Alan hooper and John potter

في الدائرة الأولى شعور الإنسان تجاه نفسه وما ينتمي إليه وما يعمل . أو ما يطلق عليه الهوية، وهذه الدائرة تذكر برجلين يعملان في قطع الحجر. سئل الأول : ماذا تعمل؟ أجاب: ماذا ترى؟ أقطع حجرة وسئل الثاني: ماذا تعمل؟ أجاب: أبني مساجد ومدارس ومستشفيات .

أيهما تظنون سينتج أكثر؟ ويستمتع أكثر؟ هذه الدائرة



هي الأكثر تأثيراً لذا يسعى المخططون إلى اعتبار كل عمل يقومون به شريفاً ومحل فخر، فالبدوي الذي كان يغير على قبيلة أخرى يسميه غزواً وما يحصل عليه يسميه كسباً مع أنه سرقة واضحة وضوح الشمس نهار صحارينا . والسارق من المال العام يسميه استثمار فرص وشطارة مع أنه يأخذ اللقمة من أفواه المحتاجين والمرضى في البيوت وفي المستشفيات .

هذا الشعور بالهوية والانتماء يعززه ما يعتقد في قرارة نفسه وما يؤمن به وما لديه من قيم: وهذا ما تمثله الدائرة الثانية. لنحدث التغيير المطلوب علينا أن نهتم بهاتين الدائرتين لابد أن نجعل مما نعمل أفضل وأنبل عمل وعلينا أن نضع قيم نعلقها في كل مكان يوجد به الطلبة ومنسوبو الكلية. كتبت أربع قيم ورتبتها كما يلي:

الاستقامة والاحترام والتميز في كل ما تعمل .

ليست الوحدات الناجحة فقط هي من يضع قيماً لمنسوبيها، بل لكل أمة ناجحة قيم تعلمها لأبنائها في البيوت والمدارس والمساجد ووسائل الإعلام.

الدائرة الثالثة تمثل القدرات التي يمتلكها الإنسان من قدرات عقلية وبدنية وروحية وعاطفية ووسائل قوة أخرى . شعور الإنسان تجاه نفسه في الدائرة وقيمه ومعتقداته في الدائرة الثانية، وقدراته في الدائرة الثالثة بحاجة لحالة نفسية وجسمية مناسبة.

للاستفادة منها لأقصى حد وهي الدائرة الرابعة فمن يعمل في حالة من الخوف أو الشك لن يبذل كمن يعمل في جو من المحبة والتشجيع والثقة .

الدائرة الخامسة هي السلوك وهي التي يركز عليها لأنها أوضح وأسهل تقييماً. قد يؤثر التدريب أو الجزاءات على سلوك الشخص» لكن ما لم يؤمن بما يعمل ويقتنع به داخلياً وبحسب الدائرتين الأولى والثانية فإنه سيعود لسلوكه السابق حينما تسمح ظروفه أو تضعف المراقبة. علينا أن نبدأ بالدائرة الأولى والثانية قبل الدائرة الخامسة .

وأخيراً تأثير البيئة المحيطة بالعمل على الانتاجية. ففي الضوضاء نتحدث بصوت عالٍ وتقل الإنتاجية وبوجود الخضرة والماء تزداد الإنتاجية وهكذا .

أهم عوامل التحفيز تأتي من مدى إيمان الشخص بما يعمل فالمعلم الذي جاء إلى التعليم وهدفه إيجاد وظيفة فقط، لن يبذل كمن جاء إلى التعليم مزمناً برسالته السامية، وهو يشعر بأنه يسهم في بناء الوطن وإعداد جيوش من الأطباء والمهندسين والعلماء. ما كنت أقصده: أن التغيير يبدأ من الثقة بالنفس والفخر بما يعمل الفرد وأن الكل أهم من الجزء وأن الوطن أهم من القبيلة وحماية الوطن بالنسبة للعسكري أهم من النفس والمال والولد.

على القائد الذي يريد التغيير الناجح والتحفيز الذي يستمر أن يهتم بالدوائر جميعاً وهذه كما قال الكاتبان مهمة جسيمة . تذكرت أصعب مراحل تدريبي في الكلية عندما كنت طالبا كانت بداية الطيران التي كادت تطيح بأمالي كطيار. لذا أحرص على الحضور لجناح الطيران مع كل مجموعة مبتدئة أذهب بعد صلاة الفجر مباشرة مرتدياً لباس الطيران، وبصحبة كوب القهوة. أذهب إلى هناك متذكراً أيام الشباب الجميلة في الأسراب .



الوقت شيء مقدس لكل طيار في العالم، بعد بالثواني ، يقفل الباب تمامًا في الوقت المحدد فلا يدخل غرفة الإيجاز أي متأخر مهما كان. لذا أحرص على الحضور قبل الوقت بخمس دقائق على الأقل .

ولأن للطيران قدرات أيضاً مثله مثل أي فن أو صناعة أخرى فهناك البطيء في ردة فعله وغير المركز ومن يمرض في الجو فيقذف ما في جوفه. والخائف من

الطيران وأسباب أخرى تختلف من شخص لآخر لذا أتحدث لمن قد لا ينجح فأقول له: عدم النجاح في مجال ليس نهاية المطاف. عليك أن تبذل الجهد وستبدع في مكان آخر بمشيئة الله.





البيئة

في طريق عودتي في أحد الأيام إلى الرياض قادمة من الشمال بطائرة التدريب الصغيرة» رأيت عاصمة بلادي الحبيبة وعليها آثار التعب والإرهاق يحوم التلوث على أطرافها كضباب في غير وقته ولا مكانه. كانت سحباً آتية من الجنوب قذفتها المصانع والسيارات دون حساب لنتائجها الخطيرة على صحة الناس تحملها الرياح إلى بقية أنحاء العاصمة .

فكرت ملياً بعد نزولي ثم قلت: ليس لمعالجة مرض العاصمة سوى أميرها، فهو الذي وضعها في مصاف عواصم العالم ليس لها سوى سلمان، أخذت ورقة وقلم وكتبت له ما رأيت . وتسلمه سموه وأحاله للجهات المختصة -

في كل قواعد العالم تحتاج الطائرات إلى مواقف واسعة تسمى (خط الطيران) وللقوات الجوية في معظم الدول نشاط خاص لتنظيفها من الأجسام الغريبة، التي لا تلتقطها مكائن التنظيف. وقد حرصت على المشاركة في ذلك النشاط مرة كل شهر، أصطحب معي المشاركين في الرياضة في الصباح الباكر ويصطف الجميع طلبة ومدرسين وأفراد صيانة وينطلقون ومعهم الأكياس يضعون فيها ما يلتقطونه من أحجار ومخلفات قد تضر بمحركات الطائرات . مثل هذا النشاط يعد فرصة مناسبة للحديث عن نظافة البيئة وأهميتها، ودور كل واحد في هذا المجال.

تحدث مرة رئيس رقباء قضى إجازته في عمان وتعجب من نظافتها، وأورد قصة حصلت له هناك. يقول: تركنا بعض المخلفات بعد غداء لذيذ، وإذا برّاع مع غنمه ينادينا ويطلب منا حمل ما تركناه لأقرب حاوية قمامة. وعندما رأى أن كلامه لم يؤخذ مأخذ الجد، أشار لهاتفه المحمول وأخبرنا أننا سنوقف عند أول نقطة تفتيش إن تركنا مخلفاتنا تشوه البيئة وتجاور الشجر. نزلنا وحملنا ما تركناه وتعلمنا درس من هذا الراعي الغيور على وطنه وبيئته. فما الذي دعا هذا الراعي لهذا التصرف الحضاري؟ مشاركة المسؤول بمثل هذه النشاطات لها دلالات مهمة، منها الثقة بالنفس وتقديم مثال يحتذى.

في البداية تكون صعبة لكن بعد نهاية النشاط، يتمنى تكرارها لما يشعر به من غبطة ولن تنقص من قدره شيئاً. حرصت أن يكون في الكلية أسبوع للتبرع بالدم، ويكون قبل الحج لحث الطلبة ومنسوبي الكلية على التبرع بالدم في هذا الوقت الذي تشتد فيه الحاجة للدم. الكثير منهم لا يعرف قيمة هذا العمل وفائدته للمتبرع والمجتمع .





زيارة ثانية إلى بريطانيا

جاءتني دعوة ثانية من القوات الجوية البريطانية لزيارة بعض المنشآت التي لها علاقة بالكلية، جلست مع المنسق للرحلة من الجانب البريطاني أناقش معه برنامج الزيارة: لابد أن يكون مفيداً ومختلف . يهتم الإنجليز بروح المغامرة ، أسست القوات الجوية البريطانية مركزاً خاصاً لهذا الغرض، بنوه على المحيط الأطلسي في مقاطعة ويلز الجنوبية . نزلنا في فندق صغير وجميل وكان المسؤول يرحب بنا ويأخذنا للغابة حيث شاركنا في عدد من المغامرات كانت المشاركة اختيارية بصفتنا ضيوفاً، لكننا أصررنا على إنهاء كل تمرين، بعض التمارين تتطلب الصعود لمسافة أكثر من عشرة أمتار ثم السير بين عمودين على خشبة بينهما.

بعد العودة للسكن لم تستطع تكرار رحلة الشلال والجبل لكثرة الأمطار. تناولنا العشاء في نفس الفندق مع ضابط برتبة عقيد من القوات الجوية البريطانية.

في اليوم الثاني أكملنا جولتنا في ذلك المركز المتميز، قال لي أحد المدربين: أنت أول ضابط بهذه السن وهذه الرتبة يشارك في هذه التمارين. لابد أن الرياضة لم تخذلك ووفت بوعداها وساعدتك كثيراً على هذا الأداء.

وأضاف: روح المغامرة يجب أن تكون جزءاً من حياة العسكري وخاصة الضباط، والحقيقة أنها ضرورية لكل إنسان ، الشجاعة مطلب لتحقيق الإنجازات.

مساكين أولئك الشباب الذين لا يعرفون من الاجازة سوى التسكع في ردهات الفنادق بصحبة الجوال، والجلوس لساعات في المقاهي ، المدارس موجودة والدورات متوافرة ومؤسسات السياحة لديها البرامج النافعة، لكن البرمجة محصورة في اهتمامات معينة نتركهم للفراغ والخلاء نلومهم ونحن المقصرون. علينا أن نغير نظرتنا تجاه الحياة وفهمنا لها فالتواكل مصيبة تغلغت في ثقافتنا، وكأن الرزق يأتي من التوكل فقط دون العمل وأن الحصول عليه يأتي من الدعاء فقط. الدعاء بوصلة تشير لما هو مطلوب لكن العمل هو المركبة للوصول إلى الهدف .

يروج بعضهم للزهد بين الشباب وكأنه احتقار الدنيا وما بها، وهذا مغاير لطبيعة الإنسان وحبه للثروة والجاه. كان الأولى أن نعلم أبناءنا كيف يكون الزهد في المال الحرام وفي المحرمات والقناعات التي هي ضد الجشع الذي يحاول أخذ ما لدى الآخرين.

نحن بحاجة لثقافة مغايرة لما نحن فيه. ثقافة أساسها الفهم الصحيح للدين والاستنارة بالعقل ولن يفلح في إقناع الناس سوى علماء دين متمكنين ومطلعين على الثقافات الأخرى ولديهم القدرة على الاجتهاد واحترام العقل .



عن اختلاف ثقافة الشعوب يقول أديب خفيف الظل: إذا كان النمر موضوع اهتمامنا، فإن الألماني يقرأ عنه في مراجع علوم الحيوان ليقدم عنه دراسة فلسفية. والفرنسي يتفرج عليه في حديقة الحيوان والإنجليزي يذهب إلى الغابة ليصيده. أما الأمريكي فيتاجر بما صاد الإنجليزي وأزيد: أما العربي فيشتري ما يبيع الأمريكي، وقد ينظم في النمر قصيدة.

أثارت فن هذه الزيارة تأملات وأشجان كثيرة وآمال يشوبها الإحباط ونيران من العزيمة والطموح يحاصرهما الرماد ونقص الهواء النقي .

تذكرت قصيدة أبي القاسم الشابي (إرادة الحياة) التي منها :

أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر

هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت مهما كبر

فلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر

في طريق عودتنا من تلك الجنان في الولاية مررنا على مركز تجنيد أفراد القوات الجوية. نفس الفكرة الموجودة في الكلية الجوية (كرانول) معظم وقتهم خارج الفصل. لديهم تمارين كثيرة تعلمهم أهمية التعاون والاتصالات والقيادة والبحث عن حلول غير عادية . يعامل الجنود وصف الضباط كما يعامل الضباط بتقدير واحترام.

يقول مدير المعهد: هؤلاء هم العمود الفقري لما نعمل، لولاهم لما طارت الطائرات ولما أبحرت السفن وتحركت الدبابات . هم المسؤولون عن الأمن والإمداد والتسليح ، وغيرها من الأعمال المساندة

لدى الغربيين ضرائب عالية، تزداد مع زيادة الدخل، ومقابل ما يؤخذ منهم تقدم لهم خدمات متميزة وخاصة في التعليم والصحة المتاحة للجميع .

يقول أحد المرافقين لنا من سفارة المملكة: منذ اليوم الأول لحمل زوجتي رتبوا كل الزيارات والعناية من دون مقابل وبعد الولادة ظلوا يزورون الطفل وأمه يومياً ويقدمون لهما الحليب والعلاج والنصائح، حتى تأكدوا من أن كل شيء يسير على ما يرام، وما يقومون به لا يقارن بما تقوم به حكومات الدول الاسكندنافية التي تطبق المساواة بشكل غريب . سألته :

- هل تأثروا بأحداث 11 سبتمبر؟

- بالطبع تأثروا وخاصة في المطارات وزاد التركيز على بعض الجاليات. ومراقبة نشاطات المساجد والمدارس والجامعات. لكن النظام واضح لا يمكن تجاوزه.

كيف سيكون وضع المسلمين لو جند هؤلاء الشباب لمقارعة شباب العالم المتقدم في ميادين العلم ومكتشفاته والرياضة والفنون. لكن دفة السفينة كانت بقيادة مجتهدين بنوا اجتهادهم على أسوأ ما في العصور الماضية. وطوعوا بعض النصوص لتخدم مشاريعهم فتحولت خططهم إلى تهور عصف بهم وبالعالم، لا يمكن أن تفسر النصوص بعيداً عن سياقاتها التي نزلت بسببها، وبعيدا عن العقل في ترجيح صحة تفسيراتها - لو حل الحب محل الكره، والتسامح بدل الغلو، واستشير العقل في تفسير النقل، لحلت كثير من تفسير الآيات والأحاديث محل أخرى - سيكون ذلك ولكن بعد أن يستنفد قادتهم كل ذخائرهم: ويعرفون أنهم



يسبحون ضد التيار ويحاربون طواحين الهواء، وأنهم يسيئون لدينهم أكثر مما يحسنون، سيكون عندما يكون هم كل حاكم عربي ومسلم رقي وسعادة شعبه ومحاربة الجريمة والفساد، سيكون عندما تصبح المدارس واحات يتعلم بها أبناءنا وبناتنا كيف يحيلون الألم إلى أمل، والكره إلى حب، وكيف يطرحون الأسئلة دون خوف ويرفعون أصواتهم بالأجوبة دون وجل، سيكون عندما نعلم أبناءنا كيف يكون السلوك الحضاري في كل مكان ولكل مخلوقات الله.

أمامنا طريق طويل وشاق، لو كان قصيراً وسهلاً لعرفه الجميع واتخذوه مسلكاً وطريقاً، لن ينجلي ليل الجهل بالأمانى ولن تشرق الشمس لمجرد أننا نطلب منها ذلك .

عدت إلى مقر عملي وقد ازدادت تصميمي على مواصلة التغيير، قلت لعموم الضباط: أولوياتنا أن نقضي على السلبيات ونعزز الإيجابيات، التفرقة على أي أساس غير مقبولة طالما أننا تحت مظلة كبيرة هي الوطن .

والألفاظ النابية يجب أن يحاسب قائلها بصرف النظر عن رتبته سواء أكان طالباً أم ضابطاً .

علينا أن نعلم الطلبة فن القيادة بشتى الطرق الإيجابية بالرياضة والعسكرية وبالتمارين الجماعية، وإنشاء الأندية التي يقوم عليها الطلبة .

بعد عدة أشهر أنشئ أول ناديين هما: نادي الغوص ونادي أصدقاء البيئة .





قبل المغيب

عشت معظم نهارك سعيدًا، أمضيت صباحه الجميل طالبًا، وضحاها طيارًا ، تفرد أجنحتك للهواء لاهيا مستمتعًا وهاجرته ورواحه قائدا ومسؤولا ، والآن وقد صار الوقت عصراً لا تحب أن تستمتع بالأصيل الجميل قبل المغيب؟ بالأمس كنت تعمل ما يريد الآخرون وتكتب في مطبوعاتهم على استحياء: وتمشي في مسارات يرسمها الآخرون.

ألا ترى أنه حان وقت الترحل، وترك الفرصة لغيرك؟

لن يكون لك خيار فلو كان الخيار لك لأمضيت ما بقي من هذا المساء سائرا في نفس الطريق.

عدت من رحلة خارجية بصحبة العائلة ليستقبلني كالعادة:

سائقي الأمين. لم يكن ضاحكا كعادته في كل لقاء لم أر أسنانه البيض ترحب بي كما كانت تفعل عند كل استقبال، حتى سن الذهب الجميل لم يكن يلمع كما كان مع كل ابتسامة سألته عن الأمور رد باقتضاب:

- لا جديد.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- الحمد لله

- كيف والدك المريض؟

- بخير والحمد لله .

كيف الكلية هذه الأيام؟

- مليئة بالشائعات، الكل يتحدث عن تقاعدات كثيرة» لم أعرها أي اهتمام لولا ورود اسمك ضمن هذه الشائعات

- لكنني سعيد أن يتخذوا هذا القرار ويعفوني من عناء، اتخذه في يوم من الأيام.

- لكنني لا أريدك أن تذهب الآن ، لا تزال في فنة عطائك وكل شيء في الكلية يسير على ما يرام.

- هذا هو أنسب وقت للترجل والخروج من الميدان.

مضى من إجازتي أسبوعان وبقي أسبوعان، الجو شتاء وصديقي السفير علي الحمدان يستحثني على المجيء عنده في كازاخستان، لم يسبق لي أن سافرت إلى دول الاتحاد السوفياتي السابق. هذه فرصة لن أفوتها . أقلت إلى كازاخستان، بجانبني

مهندس أمريكي عاد لتوه من العراق سيلتحق بزوجته التي تعرف إليها عبر إعلان في الانترنت اختارها من كازاخستان



سألني مضيبي:

- ماذا تريد أن تمارس من الهوايات؟

- كل شيء إلا صيد الطيور والغزلان.

رتب لي صديقي السفير رحلة إلى منتجع في أعالي الجبال، تابع لرئاسة الجمهورية، المكان مغطى بالثلوج والنهر يجد صعوبة في تلمس طريقه بين الثلوج.

ميزة هذا السفير علاقاته المتعددة وصدقاته مع كل مسؤول، ومع زملائه السفراء، وهذا ما سها المهمة وأثرى الزيارة بأنشطة ومعلومات كثيرة. من أراد أن ينجح في عمله فعليه إقامة علاقات مع أصحاب القرار والزملاء.

عدت إلى الكلية، ولأول مرة أحس بأنني ضيف سيرحل عما قريب، نظرت إلى الصور المعلقة في المدخل، صور القادة السابقين كأنني أراها تحقق بي لأول مرة وأسمعها تناديني لأصطف بجانبها، وتحت الصورة يكتب: البداية والنهاية، بين عامي 2002 - 2006، هكذا الحياة.

لدي رصيد كثير من الإجازات: اقترح علي بعضهم أن آخذها قبل التقاعد خاصة أنني عرفت مواعده قبل خمسة أشهر، رفضت هذه الفكرة قلت: لن أعملها لشيئين: حبي للكلية وتقديري لمن أعطاني فرصة إشعاري بالتقاعد قبل خمسة أشهر. بدأت التحضيرات للتكريم، سيكون في حفل النشاط الثقافي، وبحضور عموم الطلبة والضباط والمدرسين وعلى شرف قائد القوات، لن أستطيع دعوة كل زملائي وأصدقائي، لكن لأبأس من دعوة نماذج تمثل البقية، اجتهد المكلفون وقاموا بدعوة بعض الأسماء تمنيت لو دعوا كل أصدقائي وزملائي.

كان حفلا مؤثرة ومعداً بكل احتراف: تأثر الجميع للوداع، وخاصة عندما بدأ شاعر الكلية المبدع فهد السهلي يلقي قصيدة الوداع، فضحت آلة التصوير من حاول أن يخفي دموعه ويمسحها بين الحين والآخر بطرف شماغه.

لم أتصور هذا الوداع أو أحلم به، لكنني أتمنى مثله لكل مخلص لهذا الوطن.

كم مرة سرت القشعريرة إلى كل زوايا جسمي وأنا أستمع إلى كلماتكم.

فشكرا لكم على هذا التكريم ما عملته ليس سوى قطرة من بحر حب غمرنا به هذا الوطن العظيم. ما أحوج هذا الوطن إلى كل جهود المخلصين من أبنائه.

توجهت إلى الطلبة وقلت:

أحببتكم فأحببتهموني وأخلصت لكم فلم تخيبوا ظني حققتهم الكثير لكن طريق النجاح ليس له حدود وعزم الشباب لا يعرف المستحيل: تذكروا ما كررته عليكم ولن أمل من تكراره صباح مساء، لنلحق بالركب علينا أن نملك أدواته: عقول متفتحة، ونهم للمعرفة، وبناء للعقول والعواطف والأجسام. كلما حققت شيئاً تذكرت مقولة العالم إسحاق نيوتن: (إذا كنت أرى بعيداً فذلك لأنني أقف على أكتاف العظماء) لذا أشكر كل من أسهم بدعمي وتعليمي منذ كنت طالبا.

ثم ألقيت قصيدة من نظمي نشرت في ما بعد في مجلة الصقور.



كان لدي إجازة شهر مجدولة منذ أول العام، وقررت قضاءها وأسرتي عند ولدي نايف الذي يحضر لشهادة الدكتوراه في المدينة الجميلة (ساوثهامبتون) في جنوب بريطانيا، سجلت البنات والولد في دورة باللغة الانجليزية .

أي جمال في هذه المدينة؟! سر هذا الجمال في حدائقها التي تغطي مساحات كبيرة من وسط المدينة، تعج المدينة بالمعاهد والكليات، إضافة إلى جامعتها المشهورة المسماة باسمها.

على مقربة من المدينة تنام الغابة الجديدة تغطي مساحة 360 كم مربع وتمتد من وسط انجلترا لجنوبها، قضيتا فيها يوما من أجمل الايام، أشجار تقف منذ مئات السنين شاهدة على عظمة وبعد نظر من حموها من العبث والزحف العمراني. من أراد أن يعرف كيف تنمو الأشجار إذا حميت من الرعي والاحتطاب فما عليه سوى زيارة وادي الغاط الذي تحول خلال خمس سنوات إلى غابات من الطلح والسدر ، كلها كانت بجهود محلية من محافظها ومديرية الزراعة والبلدية وبعض عاشقي البيئة هناك.

عدت من إجازتي وقد بقي يومان قبل التقاعد. بدأت يومي كالمعتاد بالرياضة والجولة على مرافق الكلية وتجميع ما بقي لي من أوراق وتوديع من لم أودع ورأيي في موقع الكلية مستقبلا ، وقبول الجامعيين وتأهيلهم . آخر عمل قمت به، أحب وأقرب شيء إلى نفسي لقاء الطلبة وتوديعهم - اتصلت بقائد جناح الطلبة وحددت الساعة السابعة مساء من آخر يوم ليكون اللقاء بالطلبة آخر عمل لي بالكلية .

قلت لهم : لن أعيد ما قلت لكم على مدى سنوات، فقد استوعبتم لكن لي رجاء واحد: أن تنقلوه لمن بعدكم وأن تجعلوه جزء من ثقافتكم ، وممارساتكم اليومية. كل واحد منكم سيصبح قائداً ورب أسرة إن شاء الله. ما عملناه معا يصلح لجميع مشاريعكم المستقبلية، وضع الرؤية والرسالة ورسم الأهداف تصلح على كل المستويات ، تذكروا أن أقوى وأمضى صالح لهذا العصر وكل عصر هو العلم. وأترككم مع قول الاستاذ عبد العزيز الالهواني: طريق العلم شاق حتى في الدراسات الأدبية والجمالية: وإنه ليجتاج إلى أدوات كثيرة لا بد من إتقانها والصبر عليها .

وقديما قالوا: لا يعطيك العلم بعضه الا إذا أعطيته كلك. ويضيف: إن العلم يعطي البهجة والمتعة، لكن ذلك لا يتحقق إلا لمن شغلته مشكلات المادة العلمية ،واستغرقته وسيطرت على حواسه: وليس في العلم جاف ورطب ولا حلو ومر، وإنما هو الإخلاص الذي يجعل الجاف نديا والمر حلواً .

ترجلت من المنصة وحييتهم وأنا أغادر القاعة واستمر في التصفيق حتى خروجي، ركبت السيارة وعند البوابة ودعت الحارس الذي طالما استقبلني شد على يدي ،قال لي الحارس: (الله يحفظك ويستر عليك).

وصلت البيت ،علقت ملابس العسكرية برتبتها وجناحها ومعها وقعت فترة من أجمل فترات حياتي - استمرت الزيارات من قبل منسوبي الكلية إلى بيتي.

استمتعت بزيارة أعضاء هيئة التدريس وإصرارهم على تكريمي بحفل خاص في منزل أحدهم قدموا خلالها هدية رمزية عليها توقيعهم - وكتبوا عليها: إذا كان الناس شهود الله في أرضه كما قال قدوتنا وحبيبنا فإننا نشهد والله سبحانه خير الشاهدين أنك لم تنل جهدا ولم تدخر وسعاً ولم تضن براحة أو وقت في سبيل تطوير وتحديث كلية الملك فيصل الجوية منذ توليك قيادتها حيث



كانت هاجسك الدائم وشغلك الشاغل، حتى أصبحت فخراً واعتزازاً للوطن بأسره، فجزاك الله خير الجزاء على أياديك البيض على الكلية. والذكر الحسن الذي خلفته والمعاملة الإنسانية الراقية التي يذكرها وبشكرها لك كافة منسوبي الكلية . وفيت وأثبت الأمانة فانتظر جزاءك من رب عليك رقيب

وضعوها في لوحة جميلة وسلموها لي ووضعوا صورتين يوم كنت طالباً في

الكلية. ويوم صرت قائداً لها، كانت من أجمل الهدايا لأنها من شريحة غالية وممن يعقد عليهم العزم للنهوض بالأمة وتحريك المياه الراكدة حتى صارت آسنة. لا يجدد شباب الأمة سوى حراك جامعاتها العلمي والثقافي، ونتاج عقول أساتذتها .





تكريم خاص

اتصل بي معالي الأمير سعد الناصر السديري.

ليبلغني أنني سأكرم في الحفل الكبير الذي يقام سنوياً في الغاط بعد عيد الفطر مباشرة ، هذا الحفل يقام أثناءه بعض الفعاليات التي تدخل البهجة إلى قلوب المواطنين: ويبقى التراث الشعبي حياً ويستعينون في تلك الأمسية بفرق من بعض مناطق المملكة .

طلبوا مني السيرة الذاتية، وطلبت منهم خمس دقائق بعد التكريم للحديث، وكان من ضمن ما قلت:

هذا التكريم من رجال كرام في بلدي وبين أهلي، ما هو سوى نحة من الشهامة ولفتة كريمة من راعي هذا المهرجان معالي الأمير سعد الناصر السديري وإخوانه وأبنائه.

جميل أن يكون التكريم في بلدة شهد ترابها أولى خطواتي وروى ماؤها عطشي وحننت علي جبالها وأوديتها . علمتني رمضاؤها الصبر، وظلها السكينة ، سامرتني نجومها في ليالي الصيف، وأسعدتني سحبها وأمطارها في الشتاء .

شيء واحد أرجوه من محافظها ومهندسها الأستاذ عبدالله الناصر السديري: أن يزيد الخضرة في أوديتها ورياضها حتى يعود لها الأمل وطيور الحجل، وتعود الأرانب والغزلان ومعها يعود الأحبة يستمتعون بجمال الطبيعة وبكرمها وحنوها .

بعد أسبوع جاءني اتصال: سمو الأمير سلمان يريد مقابلتك - شكرا على هذه اللفتة من سمو الامير.

رتب اللقاء وتم في جو ودي ، خصص له وقت كاف تخلله الكثير من المعلومات التي تدل على إحاطة الأمير بالكثير من المعلومات عن الأسر في المنطقة ، كما قدمت لسموه بعض المقترحات عن وسط الرياض وكيف يمكن إعادة تأهيلها .





يوم مختلف

أول ليلة بعد التقاعد، نمت ونام معي شعور غريب: لأول مرة أحيل هاتفي المحمول إلى جهاز صامت: وأطلب منه عدم إزعاجي كم مرة أيقظوني أثناء الليل وفي ساعات متأخرة وخاصة حينما كنت قائدا للقاعدة. كان كل اتصال يأتي في وقت متأخر يعني مفاجأة غير سارة أما الأخبار السارة فتأتي في وقتها المناسب .

بعد التقاعد فقدت أمورا كثيرة. لكنها لا تساوي شيئا أمام

امتلاك الحرية. فقدت ذلك العدد من المكلفين بخدمتي بدءا بعامل القهوة الذي مضى على وجوده في الكلية ثلاثون عاما وعاصر كل قادتها السابقين ثم موظفي الإدارة المكلفين بالأعمال الإدارية.

بعد التقاعد صار الحاسب المحمول معي في كل مكان صار وقت الكتابة يمتد من الصباح حتى الظهر، لكن جسمي لم يعتد على هذا النمط من الحياة. أول شكوى كانت من الألم في يدي اليمنى ، كان في البداية ألما بسيطاً يزورني أيا ما ثم يزول لكنه تحول مع الوقت إلى أوجاع مبرحة لا تدعني أرتاح وخاصة وقت النوم. ذهبت إلى المستشفى مبتدئا بالطبيب العام شرحت له كل شيء بدءا بما طرأ على حياتي من تغيرات « أخبرته عن برنامجي اليومي أحالني الطبيب إلى متخصص في الأم العمود الفقري ومنه إلى متخصص في العلاج الطبيعي، كانت المشكلة تتلخص في الوضع الخاطئ للجلوس لساعات دون القيام والتحرك كل ساعة على الأقل.

ليس الجسم فقط هو الذي يحتاج إلى العناية والإصلاح بعد التقاعد عدت إلى سيارتي المرسيديس التي مضى على شرائها خمسة عشر عاما .

أكثر من ربح بوجودي في المنزل حفيدتي التي صارت تجد من يتحدث لغتها ويلبي طلباتها ويرفقه عنها، تناديني بإسمي الأول وبلغة محببة إلي وتناديني (يا عبد الله)

قبل أشهر كان الجميع من عسكريين ومدنيين يحرسون على مناداتي بالقائد أو اللواء .

أمضيت في الجو آلاف الساعات أكثرها طيار وقليل منها راكبا وأمضيت آلاف الساعات في ميادين التدريب وغرف الاجتماعات: تعلمت خلالها الشيء الكثير وخاصة مما أصبت من نجاحات وما واجهته من إخفاقات فهل وفيت للوطن فأعدت له بعض ما علي من دين ووفاء؟ أم لا يزال أمامي مجال لمزيد من العطاء؟

حاولت جاهدا أن أفتح نوافذ للحياة حاولت أن أقول في هذا الكتاب : إن الوقاية أسهل كثيرا من العلاج .



تذكرت جيداً حديثاً ما دونته السيدة (هالري كلينتون) في كتابها تاريخ عشته بين شيخ جاوز الخامسة والتسعين لا يشكو من زحف السنين وابنتها التي لم تبلغ العشرين عاماً، قال لها الشيخ: أتدريين سر الصحة والحيوية والنشاط؟ إنها الرياضة ثم الرياضة ثم الرياضة.

فتحت القراءة لي نوافذ أطلت من خلالها على العالم وعلى مختلف الآراء

والأفكار. علمت يقيناً أن العالم سيظل في صراع بعدة أوجه وأشكال. سيكون هناك صراع مبعثه العقائد والأديان وأهم أسبابه التعصب ومحاولة التفرد. نسي الناس أنه لو شاء الله لجعل كل من في هذا الكوكب على دين واحد، ومذهب واحد، ولغة واحدة تقرأ من كل الأدلة والنصوص، لكنها الحكمة التي لا نحيط بكنهها؟ والحياة التي لا نعرف كل أسرارها.

علمت يقيناً أن العالم سيظل في صراع على مصادر القوة وشرابيين الاقتصاد: حتى الأبناء يتصارعون على ثروات تركها الآباء وكلما زادت الثروة زاد التباعد واحتدم الصراع.

عشت واحدة من أسوأ فترات الإرهاب وأعلم يقيناً أن الإرهاب ليس سوى رأس الجليد الطافي، أما بقية الجبل المظمور فمكوناته الفقر والجهل والمرض والفساد والانفجار السكاني والغلاء.

سيظل العالم العربي والإسلامي يتخبط في مستنقع العالم الثالث مهما تكدست عنده الثروات. ولن يقفز به إلى مصاف العالم الأول سوى تعليم يفتح العقول وعلم يفخر بالطاقات وحرية يستنشقها الناس كالهواء، ورقابة صارمة تكشف الفساد من أي مصدر كان وقضاء نزيه يعطي كل ذي حق حقه دون تأخير، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب مع ما يحتاجه من صلاحيات.

ليس كل ما لدى الآخرين يصلح لنا، لكن الحكمة ضالة المؤمن فلا بأس من دراسة أسباب النجاح والأخذ بها قبل فوات الأوان. لن يصل المسافر إلى هدفه إلا بثلاث: معرفة الطريق والاتجاه الصحيح ووسيلة النقل المناسبة. لن نصل إلى المكان المناسب ونحن ممسكون بخارطة لم تحدث منذ زمان وبوصلة لا تؤشر للالتقاء الصحيح، ومركبة ينقصها الكثير من المستلزمات.

مضى أكثر من عامين على تركي القوات المسلحة. لكن الوقت لم يزدني إلا حبا وتعلقاً بهذه المؤسسة العظيمة.

كتبت هذه الخواطر وكأنني أمتح من بئر مليئة بالذكريات. لكنني وبعد أن أخرجتها وسطرتها على الصفحات، أحسست وكأنها قطرات قليلة ضاعت في نهر عظيم نبتت على ضفافه الحياة.

كم تمنيت لو أ همس في أذن كل أم وأب صباح مساء لأذكرهم بعظم المسؤولية تجاه أبنائهم وحسن الجزاء إن هم أحسنوا الأداء. بودي أن أثبت لهم كيف يصنع الحب والرعاية المعجزات وكيف أن تنمية العادات الجميلة كالقراءة والرياضة تحول دون الكثير من الإخفاقات والعثرات في قادم الأيام.

كم غبطت كل معلم مخلص محب لعمله وكم تمنيت لو اخترت مجال التعليم فهو الأحب إلى قلبي والأقرب إلى ميولي منذ أن كنت على مقاعد الدراسة لكن الطموح طار بي إلى الفضاء. ألم أكن واحداً من المتنافسين على مقعد وحيد للصعود إلى الفضاء؟

أؤمن أن التعليم أعظم رسالة. لكن معظم من اشتغلوا فيه عندنا اتجهوا لأنهم لم يجدوا غيره. سر قوة الأمم في مدارسها وجامعاتها. وما تحويه من عقول، وما تقوم به من بحوث وأنشطة ثقافية وعلمية تحرك المياه الراكدة وتضخ كل جديد في مختلف روافد الحياة.



سحنت لي بعض الفرص التجارية لكنني اعتذرت بكل أدب ليس لأنني لا أحب العمل والمال، لكنني لم أجد فيها ما يلبي طموحي ويساعد الناس.

أريد عمل محبباً إلى نفسي وأستمتع به، ومن خلاله أستطيع أن أسعد ، لكنني لم أجده حتى الان. أو من بأن العمل سر من أسرار الصحة والتمتع بالحياة، ألم تقل إليانور روزفلت ذات مرة: "إذا شعرت بالكآبة، أسارع إلى العمل؟؟"

سيكون هناك تغيير نحو الأفضل في أمور، ونحو الأسوأ في أمور أخرى، سيأتي التغيير من الداخل والخارج لكنه من الخارج أشد وأقوى، هذه القرية الكونية ستتدخل فيها المصالح والثقافات ، سيظل التعليم الجيد أهم أسلحتنا للتغيير نحو الأفضل لا عذر لنا في عدم اختيار أفضل الكفاءات للتعليم مع وفرة الخريجين من الجامعيين ليبنى الاختيار على أسس علمية في مدى ملائمة المتقدم لرسالة التعليم، ولا عذر لنا في ترك مناهجنا دون تطوير وتغيير مستمر.

إذا فرطنا في وسائل امتلاك القوة فسنسأل عنها يوماً ما كما ذكر تعالى في سورة التكاثر: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) ما أكثر النعم التي نفرط فيها ولا نوليها اهتماماً! فالصحة نعمة والمال نعمة والقدرات الكامنة في عقولنا نعمة والإيمان نعمة فهل تستثمر هذه النعم ونقفز إلى مصاف الدول المتقدمة؟ أو نظل في آخر قائمة الدول؟

معظم مصائب الدول والمؤسسات من سوء قاداتها وفسادهم وغياب ضمائرهم وعلى الأخص في العالم الثالث. هناك ندرة في القادة المتميزين في العالم أجمع لن يعالجها سوى تعليم متميز ، واختيار أفضل لقادة المستقبل ومرونة في التغيير، والمحاسبة لكل الأفكار العظيمة لها قدرة عجيبة على توجيه العالم: لكنها في حاجة إلى قادة عظام يزمنون بها وينفخون فيها الروح ويتبنونها، لم يكن الرئيس أبراهام لينكولن والمهاتما غاندي والملك عبد العزيز والرئيس نلسون مانديلا نماذج من هؤلاء القادة المتميزين في عصرنا الحديث. قائد مخلص يرقى بأمتة إلى مصاف الدول المتقدمة فيذكره التاريخ في صفحاته الخالدة. تقاعدت قبل عامين من القوات المسلحة ثم تقاعدت مرة أخرى قبل شهرين فحزنت كثيراً ، تقاعدت من خدمة والدتي التي انتقلت إلى رحمة الله. لأول مرة أحس أنني وحيد في هذه الحياة .

ماتت في البيت قريرة العين وأنا وأختي بجانبها وغادرتها الحياة بكل هدوء. عملت وأعطت وتركت أثراً طيباً يذكره كل من يعرفها .

لم تجزع من المرض ولم تكن عالة على أحد رغم اشتداد المرض وقسوته ، كانت نورا يشع في أرجاء البيت وانطفأ فجأة. ظل كل من في البيت يذكرها بخير ويترحم عليها، وأكثر من بكاها أحفادها الصغار وخاصة ابنتي نورة التي تحمل اسمها والكثير من صفاتها وبكتها كثيراً خادمتها المخلصة التي كانت والدتي تعاملها بكل لطف ومحبة وكأنها واحدة من بناتها .



نبذة عن الكتاب

بأسلوب أدبي ممتع يكتب اللواء الطيار عبدالله السعدون رحلته من القرية حيث لم يعرف سوى الدراجة إلى قيادة طائرة مقاتلة وهذه الرحلة تجتاز حقبة زمنية شهدت فيها المملكة العربية السعودية تغيرات كبيرة كما تقدم وضعاً لحياة القرية التي عاش فيها طفلاً ويافعاً .
وهي رسالة تطرح أمراض المجتمع ومعوقات التقدم وتشرح أسباب السعادة والصحة في عالم مليء بالجهل والأوهام والأمراض عالم مزقته الحروب وهذه الفقر .
لقد أراد الكاتب أن يقدم تجربة إنسانية تشجع على مواجهة مصاعب الحياة وتمنح الأمل ولعلها تسهم في نجاح إنسان أو مساعدة مريض أو رسم بسملة على شففتي يائس .

تدقيق

إيمان حسين ابكر

مشرفة التلخيص

سارة محمد ضاحي

نائبة المشرفة

منيرة عبد الرحمن أمين

تلخيص

أحلام علي خياط

عبد الرحمن محمد مقلية

هند مرزوق الحربي

أروى مطلق العصيمي

بنشري عبد الله صابور

رئيسة لجنة التنسيق

ربحان خان

تنسيق

أمانى موسى الجمعان

رئيسة التدقيق

إيمان ابكر

سارة محمد ضاحي

سلوى سليم المجنوني

غدير علي الحازمي

غيداء علي الحازمي

مها فوزي القرنتي